جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

دلائل الآفاق وأثرها في ترسيخ العقيدة

عند مصطفى محمود

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية - تخصص:عقيدة إسلامية

الطالب:
يوسف قادري

المشرف:
د.أحمد عامر باي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. محمد عمارة	أستاذ محاضر–ب	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	رئيسا
د. أحمد عامر باي	أستاذ محاضر–ب	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مشرفا ومقررا
أ. إسماعيل عريف	أستاذ جامعي	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	ممتحنا

السنة الجامعية: 1439–1440هـ/2018–2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال رسول الله ﷺ :« مَنْ اصطنع إليكم معروفاً فجازوه، فإنْ عجزْتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أنّكم قد شكرتم »

فأول الحمد والشكر له سبحانه وتعالى، أنْ وفقني بفضله وكرمه حتى أكملتُ هذا العمل، فله الحمد في الأولى وله الحمد في الأخرى .

أمّا بعد :

أتقدّمُ بجزيل الشكر، وفائق التقدير، وأسمى معاني العرفان للدكتور الفاضل أحمد عامر باي على سعة صدره، وطول صبره، معي لإتمام لإنجاز هذا البحث،

وعلى جهوده الحثيثة، وتوجيهاته الصائبة التي كانت نبراسا لي

استنرتُ به في طريق كتابة هذه المذكرة .

وعلى لين جانبه ، وطيب معدنه ، وحسن إشرافه لي في هذا العمل .

وإلى جميع أساتذة تخصص العقيدة الإسلامية في جامعة الوادي كلّ باسمه على تعاونهم معي

مِنْ قريب ، أو بعيد لإنجاح هذا الجهد ، وإخراج ثمرته .

* * * * * * * * * *

فللجميع ألف تحيّة ، وألف شكر .

إهـــداء

إلى اللّذيْن بذلا النفس والنّفيس، واللّذيْن احترقا فأضاءا لي طريقي، إلى والِدَيَّ الكريميْن

محمد بن عبد القادر و فاطمة بنت الأخضر

إلى إخوتي وأخواتي كلٌّ باسمه

"العلمي ، عبد القادر، الصادق، زهيرة، رقية "

وإلى قرّة عيْني، وشريكة عُمري، ومَنْ تحمّلتْ سهري، ورافقتْ نجاحي

زوجتي الغالية حليمة قادري

وإلى كلّ مَنْ يعرفني، وعلى الخصوص الأخويْن الفاضليْن

أ . موسى بيكي و أ . يوسف نعام

وإلى كلّ طلبة قسم ماستر عقيدة إسلامية لموسم 2018م-2019م، كلٌّ باسمه وبالأخصّ :

(عبد الجبار ، رابح ، عمي بلخير ، محمد ، عماد ، عزيز ، جلول ، أيوب)

وإلى كل مَنْ أحبّ يوسف قادري بصدق ، كما أحبهم بصدق وهم كُثُر ولله الحمد والمنّة .

يوسف

ملخص المذكرة بالعربية

لاشك أنّ مصطفى محمود هو مِن أبرز المفكرين المسلمين في هذا العصر، وتشهد على ذلك ترجمته الزاخرة بالانجازات والمؤلفات القيمة في مجال العقيدة الإسلامية، فقد سخّر جُهده لمواضيعها، التي مِن أهمها " دلائل الآفاق"؛ فدلائل الآفاق موضوع عرّفه مصطفى محمود :" الآيات المنتشرة في الكون الفسيح ، وتُخبر بأنّ الله ﷻ هو الإله المعبود بحقٍ دون سواه"؛ وتنقسم دلائل الآفاق إلى ثلاث أنواع تَصُبّ جميعها في معين واحد، هو إثبات وجود الله تعالى، وهي :

دليل الخلق: ومضمونه أنّ الكون بمخلوقاته دال على وجود الله ﷻ . وبهذا الدليل نثبتُ مخلوقية الكون وحدوثه، التي بها يُستدل على وجود الله تعالى .

دليل النّظام: ومضمونه أنّ كل المخلوقات لها نظام محكم تسير عليه، لا خلل فيه ولا عيب، ونردّ به شُبهة الصدفة وإبطالها .

دليل العناية: ومضمونه أنّ الكون مسخّرٌ بكل ما فيه للإنسان، الذي له الحاكمية عليه .

ولهذه الدلائل آثار على الفرد والمجتمع، نذكر منها :

على الفرد: تحرر الإنسان مِنَ الخوف على فَقْد الحياة، وفَقْد الرزق، والسكينة، وراحة النفس

على المجتمع : توحيد الله تعالى، وإتقان العمل، والترابط، والتنظيم والانسجام .

English Abstract

There is no doubt that Mustafa Mahmoud is one of the most prominent Islamic thinkers of this era, and attests to his translation, which is rich in achievements and valuable works in the field of Islamic faith, he has harnessed his efforts to the topics, the most important of which are "signs of horizons". The forefathers of the horizons are a topic known to Dr. Mustafa: "The verses that are scattered in the vast universe, and tell that God is truly the God of God." The signs of horizons are divided into three types, all of which are related to one particular, namely, the proof of the existence of Allaah, namely :

Creation Guide : Its content is that the universe with its creatures d is the existence of God. In this evidence we prove the existence of the universe and its occurrence, which is indicative of the existence of God Almighty.

Guide to the system : It is guaranteed that all creatures have an orderly system to go, no defect in it and no defect, and respond by the suspicion of coincidence and invalidation.

Care manual : It is guaranteed that the universe is fully equipped to the human, which has governance over it.

These signs have implications for the individual and society, including:

On the individual : Freedom from fear of loss of life, loss of livelihood, serenity, and rest of the soul .

On the community: the unity of God Almighty, mastery of work, interdependence, organization and harmony.

مقدمة

مقـدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله . أمّا بعد :

إنّ الله ﷻ وضع في الكون آيات، تنطق بوجوده، وتُخْبر عن عظمته؛ فلا يُنْكرها إلاّ عليل الفكر، سقيم العقل، وهي الأدلة التي ركِبَ العلماء صَهْوتها، وراحوا يُقيمون بها الحجج على أهل النكران والجحود، انطلاقا من قول الله تعالى:﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[1]، فلم يبق مِن هؤلاء نَفَر، إلاّ وقد تركتْ هذه الدلائل الباهرة، أثراً بليغاً على نفسه، فأصْلَحَتْ ما فَسَدَ، وقَوَّمَتْ ما انْتَكَسَ.

فأصبحت هذه الأدلة موضوعا مُلازِما لأهم قضية في علم العقيدة، ألاَ وهي وجود اللهﷻ، فأكْثرَ الباحثون والكُتَّابُ الخوض فيها- على غرار مصطفى محمود- تصنيفاً وتأليفاً، حتى وصل بهم البحث إلى تعريفها، وتقسيم أنواعها، ثم تَبْيِّنِ مدلولاتها، واستنباطِ آثارها على عقيدة الفرد والمجتمع. وجهود الدكتور مصطفى في هذا الجانب مُعْتَبَرَةٌ وقيِّمة ، وتحتاج منا الوقوف عليها، والاستفادة من منهجيته في عرض هذه الأدلة خاصة دلائل الآفاق ، التي أطال فيها الفكر والتدبر، حتى أخذت تصوراته أهمية فكرية كبيرة، ما جعلني اتخذتها موضوعاً لمذكرتي الموسوم بـ:" دلائل الآفاق وأثرها في ترسيخ العقيدة عند مصطفى محمود".

أولا: الإشكالية

ومما سبق ذكره ، ولإثراء الموضوع، نطرح هنا إشكالية عامة هي:

- ما مدى تأثير دلائل الآفاق في ترسيخ العقيدة عند مصطفى محمود ؟

ورسماً للحدود، وتدرُّجاً في عَرْض الموجود، جزأتُ الإشكالية، إلى تساؤلات فرعية هي:

- ما مفهوم الدليل، والآفاق، والعقيدة ؟
- مَنْ هو مصطفى محمود، وما هي أفكاره حول دلائل الآفاق ؟
- ماهو وجه دلالة الآفاق في وجود الله تعالى حسب مصطفى محمود ؟

1- سورة فصلت : الآية 53 .

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع

لقد حمل موضوع الدراسة، الذي أنا بصدد استئناف البحث فيه، عنوانَ (دلائل الآفاق وأثرها في ترسيخ العقيدة في فكر مصطفى محمود)، ولاختياري هذا الموضوع سببيْن هاميْن:

– الأول معرفي : وهو الرغبة المِلحّة التي انتابتني، ساعةَ قراءتي العنوان على قائمة المواضيع المقترحة، فقررتُ البحث فيه، للاطلاع على تفاصيل هذه الدلائل، والاستزادة من الأدلة العقلية خصوصا، عند إثبات وجود الله ﷻ .

– الثاني وجداني : حيث من أوائل الشخصيات، التي كان لها أثر عميق عَلَيَّ، منذ تسعينيات القرن الماضي، في بداية الاحتكاك الأول برجال الدعوة والدعاة، هو مصطفى محمود، خاصة برنامجه التلفزيوني " العلم والإيمان "، الذي بلغ به حدّ الشهرة في كلّ العالم الإسلامي؛ وهذا دفعني دفْعاً لاختيار الموضوع، ومعرفة الرجل عن قرب، وفهْمِ مواقفه، وعرْضِ آرائه في هذا الموضوع .

ثالثا: أهمية الموضوع

لاشك أنّ ذات الله ﷻ وصفاته، يعطيان للموضوع أهميةً بالغة، لاسيما أنّي أريدُ بَسْط أدلةٍ، وبراهينَ تُثْبِتُ وجوده ﷻ .

رابعا: أهداف الموضوع

أرمي بهذه الدراسة المساهمة في تحقيق جملة مِن المرامي، وهي :

– الوقوف على حقيقة أدلة وجود الله تعالى، وبيان بعضها .

– تبسيط أدلة الآفاق، وتقريبُ فَهْمها مِن عامة المسلمين .

– التعريف بمصطفى محمود، وجهودِه في خدمة العقيدة والفكر الإسلامي .

– المساهمة في ترسيخ عقيدة المجتمع المسلم، بالنظر في دلائل الآفاق المبثوثة في الكون، وما ينجرُ عنها من آثار عظيمة على حياة الإنسان الفردية والعامة .

خامسا: الصعوبات

لعل الصعوبات التي واجهتْني في عملي هذا، محصورةٌ في :

– صعوبة الإحاطة الكاملة بجميع مؤلفات مصطفى محمود، وكل مساهماته المكتوبة، والمصوّرة، لا مِنْ حيث الوصولُ إليها، أو قراءتُها وذلك لكثرتها.

– صعوبة حصر الموضوع، واستخراج حيثياته ومضامينه، لأنّ مصطفى محمود لم يُخصص له كتاباً بعينه، أو حلقةً بذاتها، بل تكلّم عنه شارحاً ومحللاً في أغلب إنتاجاته. مُوزّعاً عناصره–حسب الحاجة– في عديد الكتب والحلقات والمقالات.

ورغم ما تلقيتُه مِن هذه الصعوبات، وأخرى لم أذكرها، إلاّ أنّني ذلّلْتُها، في سبيل إخراج هذا العمل إلى النور .

سادسا: الدراسات السابقة

أخذ موضوع وجود الله تعالى عموما، حقه مِن الدراسة، ومازال يأخذ، على غرار أجزائه–لاسيما– دلائل الآفاق، حيث وَجَدْتُ أنّ بعْض الباحثين أخذوا هذا الجزء بالبحث والدراسة في أعمال أكاديمية عديدة. ومِن بيْن هؤلاء أذكر للتمثيل لا للحصر:

1– رسالة ماجستير في العقيدة بعنوان: "الدكتور مصطفى محمود آراؤه الاعتقادية وموقفه من المذاهب الفكرية والملل المعاصرة " للباحث حسني محمد أحمد العطار، من كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية– غزة – فلسطين، حيث تناولتِ الرسالة عرضاً مفصلاً عن حياة مصطفى محمود، وعن آرائه العقدية في الإلهيات، والسمعيات، والنبوات، وأيضا مواقفه من الملل المعاصرة كاليهودية، والماركسية، والداروينية...وغيرها. فأخذتِ الرسالة شَكْلَ الترجمة لحياة هذا العَلَم. وقد قام الباحث بالتَّحَقُّقِ من المعلومات والأقوال والمواقف، التي تُنْسَب إلى مصطفى محمود، مع تَبْيِينه للمصادر التي اعتمد عليها في ذلك، وتُعدّ هذه الخطوة من بين الايجابيات الكثيرة في هذه الرسالة التي استفدتُ منها في بحثي خاصة في جزئية التعريف بمصطفى محمود .

2– رسالة ماجستير بعنوان :" الآيات الكونية، دراسة عقدية "، للباحث عبد المجيد بن محمد الوعلان، من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، حيث جَمَعَ فيها، الآيات الكونية الواردة في النصوص الشرعية من كتابٍ وسنةٍ، معتمدا على ما صحّ مِن تفاسير، وأحاديث نبوية، وقد أجاد في ذكر كلِّ –ودون استثناء– الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة، التي تُشير للمخلوقات الكونية(مِن سماوات، أرض، جبال، بحار، أفلاك وكائنات حية...وغيرها) ومبرزاً ما تحمله مِن دلالات عَقَديّة.غير أنّه ما قد يعاب على هذا البحث، هو التركيز الشديد على مدرسة واحدة في التفسير، والشرح، والتعقيب، وهي مدرسة أهل الأثر، وكذا التنقيص من الآراء المخالفة لها. ولعل هذه السلبية طغتْ على الرسالة، فأنقصت من قيمتها في التحليل والإثراء، وأكيد هذا ما سأتحاشاه في بحثي .

3– رسالة ماجستير"الفَلَك وعلاقته بالعقيدة في الكتاب والسنّة "للباحث عبد الله محمد الأنصاري، مِن كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة أم القرى، بمكة المكرّمة عام1991، فكان موضوع البحث هو عِلمُ الفَلَك، ونموه خلال تاريخ الحضارات، وما يتعلق بذلك من اعتقادات فاسدة، ومقارنتها بما جاء في القرآن والسنّة من مراحل خلْق السماوات والأرض، وحركة الأجرام السماوية، وبما أنّ الفَلَك يدخُلُ في الآفاق الكونية، كانت استفادتي من هذه الدراسة كبيرة، خاصة في الشق الثاني منها، الذي تطرق الباحث فيه إلى العلاقة الموجودة بين العقيدة والفلك، وما ينجر عنها من إيمان بربوبية الله وألوهيته، حيث كان استنباط الباحث للعلاقة دقيقاً ومحكماً، ويوحي بتحكّمٍ جيد في صلب الموضوع.

4– أمّا عن الكتب التي دَرَستْ موضوع دلائل الآفاق وناقشته :

– نجد كتاب "الإسلام يتحدى" للدكتور وحيد الدين خان، من أهم هذه الكتب ، حيث أثار موضوع الاكتشافات العلمية الحديثة، ودورها في إثبات وجود الله تعالى، وكذلك ردّ فيه على أباطيل الملاحدة من خلال ما توصّل إليه العِلْم مِنْ نظريات، باتتْ شوكة في حلْق أولئك .

– دراسة قام بها الشيخ محمد متولي الشعراوي، وطُبِعتْ في كتيب صغير الحجم، كبير المعاني بعنوان:"الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى" ذاكرا الشيخ الآيات في الكون، والآيات في خلق الإنسان، ومبرزا دلالة التحدي الإلهي في الخلق، والتصور الإسلامي لبديع صنع الله تعالى، وهناك دراسات أخرى اعتمدت عليها في بحثي، يطول المقال لذكرها جميعا . وقد كانت استفادتي من كل هذه المراجع استفادةً كبيرة في المضمون، وخاصة في تقسيم بعض أجزاء الموضوع وتحديد عناصره .

سابعا: المنهج المتبع في البحث

إنّ مِثْل هذا الموضوع ، يكون في دراسته نوع مِن اليُسْر والسهولة، إذا عُولج بمنهجٍ مناسب، وقد تَطَلَّب البحث الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لِمَا فيه مِن سمات، تُحَقِق المرجو من الإجابة عن إشكالية البحث، وتحقيق أهدافه. فعالجتُ بالمنهج الوصفي عناصر المبحث الأول، الذي يحتوي على أحداث ووقائع تخصّ حياة مصطفى محمود، أمّا مع المنهج التحليلي الذي يَسْتَوْجِب الوقوف عند المعاني وتوظيفها، واستنباط أخرى بكل أريحية وسلاسة، استعملتُه في مناقشة حيثيات صلْب الموضوع في المبحثين الثاني والثالث.

ثامنا: خطة البحث

فصّلْتُ الدراسة بخطّةِ بحْثٍ، تقوم على ثلاث مباحث، الأول منها خصصتُه لضبط مصطلحات الموضوع مِنَ الجانبيْن اللغوي والاصطلاحي، وذلك في مطلبه الأول، أمّا مطلبه الثاني فتناولتُ فيه ترجمةً لمصطفى محمود، معرِجاً على مولده ونشأته منتهياً بجوانبَ من فكره . وفي المبحث الثاني استطردتُ الكلام عن مضمون و أنواع دلائل الآفاق عنده، إذ في المطلب الأول استنبطتُ دلالاتها حسب ما يراه الدكتور، وذكرتُ أنواعها في المطلب الثاني، وختمتُ المباحث بثالثٍ فصَّلْتُ فيه الآثار المترتبة عن دلائل الآفاق على حياة المجتمع عامة، والفرد خاصة. وخِتاماً لخّصْتُ الدراسة بخاتمة دوّنْتُ فيها النتائج، وتوصيات البحث.

المبحث الأول :

ضبط مفاهيم عنوان المذكرة

المطلب الأول : ضبط مفاهيم (الدليل ، الآفاق، العقيدة)

الفرع الأول : الدليل مفهومه ومصادره وأنواعه

الفرع الثاني : مفهوم الآفاق

الفرع الثالث : العقيدة مفهومها وأهميتها وخصائصها

المطلب الثاني : التعريف بمصطفى محمود

الفرع الأول : مولده ونشأته

الفرع الثاني : فكره وآراؤه العقدية

المبحث الأول : ضبط مفاهيم عنوان المذكرة

إنّ أغلب الدراسات والبحوث المتعلقة بالعقيدة وما يحيط بها من علوم، تسعى أيما سعي لضبط مرتكزات هذا المجال، وحصر مصطلحاته-على غرار كل الفنون الأخرى- بتعريفات ومفاهيم جامعة مانعة، تكون سندا علميا، ومستندا أكاديميا للباحثين فيه .

ولعل هذا ما جعلني ابتدأ بهذا المبحث التمهيدي، لأضبط من خلاله المفاهيم محلّ الدراسة، ومن الأكيد-كما هو واضح من عنوان المذكرة- تظهر ثلاث مصطلحات، غاية في الأهمية تحتاج مني الضبط، من حيث مفهومها وهي:(الدليل، الآفاق والعقيدة)؛ ثمّ أعرج في هذا المبحث كذلك، إلى التعريف بمصطفى محمود، لأنه جزء مِنْ هذا البحث، والذي يتعلق جزؤه الأكبر بمحور دلائل الآفاق في فكره رحمه الله ، وهذا كله ما سأحاول بسطه في مطالب هذا المبحث التمهيدي .

المطلب الأول : ضبط مفاهيم (الدليل، الآفاق، العقيدة)

الفرع الأول : الدليل مفهومه ومصادره وأنواعه

أولا: مفهوم الدليل لغة واصطلاحا

1- الدليل في اللغة : مأخوذ من أصلها اللغوي دلّ يدُل دَلالة، الدال واللام أصلان، دَلَلْتُ فلانا على الطريق، أيْ أرشدته إليه[1] .

ويُطلق لفظ الدليل في اللغة على عدة معان نذكر منها :

أ- الإرشاد : يطلق الدليل ويراد به المرشد. وجاء في المصباح المنير:"اسم الفاعل: دال ودليل: هو المرشد والكاشف"[2].

ب- ما به الإرشاد : ويراد به أيضا العلامة المنصوبة من الأحجار،أو غيرها لتعريف الطريق، يقول الجرجاني:" الدليل في اللغة هو: المرشد وما به الإرشاد"[3].

ج- ناصب الدليل :" أما الدليل فيطلق: على ناصب الدليل، وعلى ذاكره و على ما فيه الدلالة "[4].

1- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،مادة (دلّ)، دار الفكر:دمشق-سوريا، ج 2،ص 259.

2- المصباح المنير،أحمد بن محمد الفيومي،(دلل)،تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف:القاهرة-مصر، ط2، ص213 .

3- معجم التعريفات،علي بن محمد الجرجاني،تحقيق :محمد صديق المنشاوي،دار الفضيلة:القاهرة-مصر، ص91 .

4- نهاية الوصول في دراية الأصول، محمد بن عبد الرحيم الارموي، تحقيق: صالح سليمان اليوسف، سعد سالم السويح، المكتبة التجارية:مكة المكرمة-المملكة العربية السعودية، ج1،ص 22 .

وإنّ العلماء مختلفون في إطلاق هذه المعاني الثلاثة على لفظ الدليل، لأنها في الأساس تحمل معنى واحد، وهو الإرشاد كما ذهب إلى ذلك ابن الحاجب بقوله:"الدليل في اللغة يطلق على المرشد و أنّ المرشد يطلق على المعاني الثلاثة التي ذكرها الآمدي"[1].

2- الدليل في الاصطلاح: قد تعدّدت تعريفات مصطلح الدليل، بحسب العلوم التي اِستَعْمَلَتْ هذا اللفظ واستخدمته. ولعلنا نذكر هنا بعض هذه العلوم وتعريفاتها :

أ- علم المنطق: حيث عرّف المناطقة الدليل كما أورده حسن حبنكة الميداني[2]:"هو التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بملاحظة حكم تصديقي معلوم"؛ واسترسل شارحا لهذا التعريف بقوله:" فهو إذاً عملية عقلية منطقية، ينتقل فيها الباحث من قضية أو عدة قضايا إلى قضية أخرى تُسْتَخْلَصُ منها مباشرة، دون اللجوء إلى التجربة "[3].

ولعل هذا التعريف ليس جامعا مانعا، بما يكفي ليشمل كلّ أنواع الدليل الأخرى، فهو يشير هنا إلى الدليل العلمي، الخاضع للتجريب والملاحظة .

ب- علم الكلام : قال التهانوي في تعريف الدليل اصطلاحا:"هو ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه على مطلوب خيري وهو يشمل القطعي والظني"[4].

ج- علم أصول الفقه: عرّفه كثير مِنَ الأصوليين كالسبكي والأمدي والزركشي:"الدليل ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خيري"[5].

والملاحِظ لتعريف علماء الكلام والأصوليين يجزم أنه واحد ، وهو فعلا واحد، غير أن الكلاميين أضافوا قسمين من أقسام الدليل، وذلك لتوضيح وإضفاء صفة الشمول على تعريف الأصوليين عينه.

ولعل أقرب تعريف أَرْكَن إليه هنا، هو ما ذهب إليه أهل الكلام، كما عبّر عليه التهانوي، لأنّ فيه ميزة النظر والتدقيق، وخيرية الهدف، وهو ما تسعى دلائل الآفاق الوصول إليه فعلا وبرهنة .

1- شرح مختصر المنتهى، عبد الرحمان الإيجي، دار الكتب العلمية:القاهرة-مصر، ج1،ص36 .

2- هو حسن بن مرزوق حبنكة ولد 1908 في حي الميدان من قرية الكسوة جنوب دمشق ، ومنه جاءت نسبته الميداني، كان شيخا خطيبا ،سنيا شافعيا، مجاهدا في الثورة السورية ضد الاستدمار الفرنسي سنة 1925 حتى نال الاستقلال، وكان من تلاميذه سعيد رمضان البوطي...توفي سنة 1978، المعجم الجامع في تراجم المعاصرين، عبد الفتاح أبو غدة، ج1،ص210.

3- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة،عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني،دار العلم:دمشق-سوريا، ط4 ،1993، ص149.

4 هو اشرف على التهانوي الهندي(1863- 1943) فقيه حنفي من أهل الهند، معجم كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم التهانوي، مكتبة لبنان:بيروت-لبنان، ط1 1996،ج 1،ص793.

5- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أبي علي الآمدي، دار الكتاب العربي:بيروت-لبنان، ط1 ،ج 1،ص28 . جمع الجوامع، السبكي، دار الكتاب العلمية ، ط2، 2003 ،ص15.

ثانيا: مصادر الدليل

إنّ اهتمام الأمم بمفهوم الدليل وأنواعه وتأصيله متفاوتٌ، فأمَّة كحضارة الهند، وما تحمله من زخمٍ غارقٍ في التاريخ، لم تكن تقيم للدليل كثيرَ اهتمام، إلا قليلاً، وعلى العكس منها حضارة اليونان، التي أسهب فلاسفتها في ذكر الدليل وتأصيلاته، بل كانوا من أوائل من أسسوا لمفهوم الدليل وتقسيماته، ومن نظر إلى المدارس اليونانية الفلسفية، هاله كثرة النظريات وما تعتمده من مصادر، فالشك والعقل والميتافيزيقيا والعاطفة والألم واللذة، كلها أتت مصادر حاول فلاسفة اليونان، الاعتماد عليها للاقتراب من الحق أو إصابته، حتى جاء الدين بالقول الفصل، في كتاب الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[1]، فاستنبط علماء الإسلام من هذه الآية الكريمة، بأهم مصادر الدليل، وهي :

1– كتاب الله تعالى(القرآن الكريم).

2– سنة النبي محمد ﷺ .

3– إجماع علماء أمة الإسلام .

وهذه المصادر الثلاثة جاءت واضحة في الآية السابقة، حيث قال تعالى:﴿ **فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾ وهو القرآن الكريم،﴿ **وَٱلرَّسُولِ** ﴾ وهو السنة الصحيحة،﴿**وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ** ﴾ قال عنهم جابر بن عبد الله ومجاهد: هم أهل القرآن والعلم[2]. وقد حازت هذه المصادر الواردة في القرآن الكريم على إجماع أئمة المسلمين، ولم يخالفهم فيها إلا قلة قليلة، لم يكن قولها معتبرا، عند خاصة المسلمين وعامتهم.

ثالثا: أنواع الدليل

أجمع علماء الإسلام من أصوليين وفقهاء ومتكلمين على حجية الدليل، وأن الحق لا ينال إلا بالدليل، فجرى على ألسنتهم مقولة القاضي أبي بكر الباقلاني[3]:"مالا دليل عليه يجب نفيه، أو بطلان

1– سورة النساء : الآية 59 .

2– فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق : عبد الرحمان عميرة ، دار الوفاء:الإسكندرية–مصر، دط ، ج 1،ص 768 .

3– الباقلاني : هو أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني البحري ولد 338هـ، أحد علماء الأشاعرة ، وانتهى إليه رئاسة المذهب المالكي توفي 402هـ .

الدليل يُؤْذِن ببطلان المدلول"[1]، من هنا لَزِمَ عليهم تقسيم أنواعه، وإذ بمجرد استقراء بسيط في كتب هؤلاء، يتّضح جلياً التقسيم الذي اعتمدوه، فأنواع الأدلة اثنان : عقلية وشرعية (سمعية)[2].

1- الأدلة العقلية: هي ما أدركه العقل في الموضوع الذي هو محل الاستدلال.

2- الأدلة الشرعية(السمعية): هي الأدلة النصية من كتاب الله تعالى، أو سنة رسوله ﷺ، أو إجماع أهل العلم .

وهناك نوع ثالث، قال به جماعة من أهل الكلام، يمكن إدراجه من ضمن الأنواع، وهو ما اشترك في دلالته بين العقلي والسمعي(مركب من الأدلة العقلية والأدلة السمعية). وهذا ما اعتمده الإيجي[3]، وغيره

وبما أنني سأبحث في الدلائل والأدلة، فعليّ تحديد نوعها، ولأنّ دلائل الآفاق تقوم على النظر والاستنباط-كما سنعرف- فمِنَ المؤكد أنّ ما يَهُمُّني مِن هذه الأدلة، هي الأدلة العقلية بصفة خاصة، رغم حاجتنا إلى النوعيْن الآخريْن، لتعْضيد الأقوال بالنصوص القرآنية والحَدِيثِيّة.

الفرع الثاني : مفهوم الآفاق

أولا: الآفاق في اللغة

الأُفُق، والأُفْق: ما ظهر من نواحي الفَلَك وأطراف الأرض، وكذلك أُفُق السماء نواحيها، وفي التهذيب: رجل أَفَقي بفتح الهمزة والفاء، إذا كان مِنْ آفاق الأرض. أيْ نواحيها[4].وقيل الأفق، بالضم وبضمتيْن: الناحية، وجمْعه: آفاق، أو ما ظهر من نواحي الفَلك، أو مهب الجنوب والشمال[5].

ويُفْهَم مما تقدم ذكره، أنَّ لفظة آفاق: هي جمع لكلمة أُفق أو أُفُق، تكون بضم الهمزة فقط أو بضم الهمزة والفاء معا، وتعني الفَلَك بفُسْحته، والكون بأرجائه،وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة وتعنيه، قال تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[6]، حيث اُخْتُلِفَ في معنى مفردات الآية، اختلافا لا يَضُرّ بالمعنى، فبعضهم فسر الآفاق بأنها آفاق السماوات، وبعضهم فسرها بأنها آفاق الأرض، وثالث

1- التقريب والإرشاد (الصغير)، محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عبد الحميد أبو زيد ،مؤسسة الرسالة:بيروت-لبنان، ط2، ج1، ص 206-207 .

2- أصول الدين ، عبد القار البغدادي ، دار الفنون:اسطنبول-تركيا ، ط1 ، ص 14.

3-هو عبد الرحمان بن أحمد الإيجي عالم بالأصول والعربية. من أهل إيج (بفارس)، ولي القضاء، توفي 756هـ،المواقف في علم الكلام ،الإيجي،تحقيق: عبد الرحمان عميرة، دار الجبل: بيروت-لبنان، ط1 ، 1997 ،ج1، ص 39 .

4- لسان العرب، محمد جمال الدين ابن منظور، دار صادر: بيروت-لبنان، مادة (أفق)، ج1، ص5 .

5- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز أبادي، مؤسسة الرسالة:بيروت-لبنان، ط8 ، 2005 ، ج1 ، ص864 .

6- سورة فصلت : الآية 53 .

فسرها بالمعنيين معا؛ حيث قال السعدي:" فإن قلتم، أو شككتم بصحته، وحقيقته، فسيقيم الله لكم من آياته في الآفاق، كالآيات التي في السماء والأرض، وما يُحْدِثه الله تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر على الحق[1].

وخلاصة ما ذَكَرْتُه، أنّ المعاني اللغوية للفظة الآفاق، لا تخرج عن ما تحمله الأرض والسماء من مخلوقات، وكذا امتدادهما على مدّ البصر.

ثانيا: الآفاق في الاصطلاح

إن لفظ الآفاق في الاصطلاح، جاء ذكره عند المفسرين، في معرض تفسيرهم للآية الثالثة والخمسين من سورة فصلت، عند قوله تعالى:﴿ ...ٱلۡأٓفَاقِ...﴾، وهو الموضع الوحيد في القرآن الكريم كله، الذي ذُكِرَتْ فيه كلمة الآفاق بالجَمْع، وأمّا بالإفراد، فقد ذُكِرتْ في مواضع كثيرة منها: قال تعالى: ﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[2]، وقوله أيضا:﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾[3]، حيث جاءت الآفاق بثلاث معان[4]:

1- المخلوقات التي خلقها الله تعالى في شتى نواحي الأرض والسماء

في(الآفاق) يعني أقطار السموات والأرض،من الشمس والقمر، والنجوم والليل والنهار، والرياح والأمطار، والرعد والبرق، والصواعق، والنبات والأشجار، والجبال والبحار وغيرها[5].

2- آيات القرآن التي تخبر وتصف أنواع المخلوقات

وهي آيات كثيرة، ومثالها. قاله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[6].

3- المعجزات التي يظهرها الله تصديقا لرسوله ﷺ

1- تيسير الكريم الرحمان في كلام المنان، عبد الرحمان السعدي، تحقيق: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي:الدمام-المملكة العربية السعودية، ط1، 2001، ج8، ص1581 .

2- سورة النجم : الآية 7 .

3- سورة التكوير : الآية 23 .

4- مقال تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (1)، عبد المجيد الزنداني، تقديم: جاد الحق علي جاد الحق، عدد الاثنين 31 ديسمبر 2012 ، موقع جامعة الإيمان ، مركز البحوث، أبحاث الإعجاز، www.jameatalemam.org

5- الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي،مؤسسة الرسالة:بيروت-لبنان ،ط1 ،2006 ، ج18، ص437 .

6- سورة الأنعام : 95-97.

وهي البيّنَات في شتى آفاق الأرض والسماء، برؤية مِصْداقها من حقائق، قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[1]، أيْ سنريهم دلالات صدق القرآن، وعلامة كونه من عند الله تعالى في الآفاق وأنفسهم[2].

وبصرف النظر عن المعنيين الثاني والثالث، لأنّهما يشيران إلى الآيات القرآنية-التي بين دفتيْ المصحف- ، و خوارق الأمور-التي حدثتْ للنبي الكريم ﷺ- على التوالي، فإنّ المعنى الأول هو الذي أنا بصدد توضيحه وتبيينه، وهو الحد الرئيسي في عنوان مذكرتي. وعليه فإنه يمكن إعطاء هذا المفهوم لمصطلح الآفاق:" هو كل ما خلق الله من ماديات يراها الإنسان بعينه المجردة، أو توصل إلى رؤيتها بعلمه، وتكون منفصلة عن ذاته انفصالا تاما".

حيث يقول الرازي:" أن المراد بآيات الآفاق الآيات الفلكية و الكوكبية، و آيات الليل و النهار، وآيات الأضواء والإضلال و الظلمات، و آيات عالم العناصر الأربعة، و آيات المواليد الثلاثة"[3]، وقد أضاف قائلا:"...إلا أن العجائب التي أودعها الله تعالى في هذه الأشياء مما لا نهاية لها، فهو تعالى يطلعهم على تلك العجائب زمانا فزمانا"[4]. و بهذا القول يكون الإمام الرازي قد أشار إشارة واضحة لدلائل الآفاق مبرزا معناها، و مجليا مفهومها أيما تجلية.

وقد ذكر بعضُ العلماء مِنَ الدلائل المنتشرة في الآفاق الكثير، حيث اعتبروا السماء والشمس، والقمر، والكواكب، والأرض، والبحر، والماء، والهواء، والنّار، والطيور، والبهائم، والحشرات، والسمك، والنبات عجائب وآيات من صنع الله تدلّ عليهﷻ.ومن بعض أقوالهم:"ومن عظيم الحكمة الأفلاك التي بها ثبات هذا العالم على نهاية من الاتفاق لطول البقاء وعدم التغير"[5]، وقولهم أيضا:" وجعل التفكر في مصنوعاته وسيلة لرسوخ اليقين في قلوب عباده المستبصرين، استدلوا عليه سبحانه بصفته فعلموه، وتحققوا أنْ لا إله إلّا هو فوحّدوه، وشاهدوا عظمته وجلاله فنزّهوه...وهم الشهداء على ذلك بالنظر والاستدلال"[6].

1-سورة فصلت : الآية 53 .

2- فتح القدير، محمد الشوكاني، المصدر السابق، ج4 ، ص685 .

3- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي ، دار الفكر:بيروت-لبنان، ط1: 1981 م ،ج27 ،ص140 .

4- المصدر نفسه، ج27 ، ص140.

5- الحكمة في مخلوقات الله ، أبو حامد الغزالي، تحقيق : محمد رشيد قباني ، دار إحياء العلوم:بيروت-لبنان ، ط1 ، 1978،ص13

6- تفسير الشعراوي،محمد متولي الشعراوي ،دار أخبار اليوم:القاهرة-مصر ،1991،ج1 ، راجع المقدمة، تجد فيها ترجمة الشيخ .

وبهذا المفهوم يدخل في معنى الآفاق، أصغر الأشياء وأدقها: كالجزيئات، والإلكترونات المكونة للذرة؛ إلى أكبرها وأضخمها: كالكواكب، والمجرات، والأفلاك .

وقد ذكر محمد متولي الشعراوي[1] في معرض تفسيره للآيات: البقرة:164، آل عمران:190، الأنعام: 96، إبراهيم:32، الأنبياء:30، النور:35، تعريفاً مباشراً لدلائل الآفاق قال فيه:" هي تلك الآيات الكونية التي هي مناط الاستدلال العقلي على وجود الإله"[2]، ويتضمَّنُ هذا التعريف كل المخلوقات التي تحمل في خَلْقها، أو نظام حياتها، أو عناية الله بها، دليلاً على وجوده ﷻ .

الفرع الثالث : العقيدة مفهومها وأهميتها وخصائصها

أولا: مفهوم العقيدة لغة واصطلاحا

1- العقيدة في اللغة

إنّ العقيدة مشتقة من مادة(عقد)، العين والقاف والدال: أصل واحد يدل على الشَّدّ[3]، والعقد نقيض الحل، أيْ الرَّبْط، عَقَدَهُ، يَعْقِدَه. عَقْدًا، والجمع عُقَدٌ، وقيل:"العقد الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة،كعقد الحبل، وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني نحو: عَقَدَ البيع والعهد، وغيرهما، فيقال : عَاقَدْته، وعَقَدْته، وعَقَدَتْ يمينه، قال تعالى:﴿ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[4]، ومنه قيل لفلان عقيدة[5].

ونخرج من معنى الشّدّ والرّبْط لمادة(عَقَدَ)، بمفهوم خاص اشتقتِ العقيدة معناها الاصطلاحي منه، وهو التأكيد والتصديق الذي يرسخ في القلب والفؤاد.

2- العقيدة في الاصطلاح

إنّ مصطلح العقيدة يأخذ معنيَيْن: أحدهما عام والآخر خاص.

فأمّا العام يشمل أيَّ عقيدةٍ كانت وهو:الأمور التي تُصَدِّق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقينا عند أصحابها، لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك[6].

1- المرجع نفسه ، ج1 ، ص4033 .

2- معجم مقاييس اللغة ، مادة (عقد) ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 86 .

3- لسان العرب، ابن منظور ، المصدر السابق، مادة (عقد) ، ج3 ، ص 296 .

4- سورة النساء : الآية 33 .

5- المفردات في القرآن،الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني،تحقيق:محمد سيد كيلاني،دار المعرفة:بيروت-لبنان،ص 341 .

6- مجموعة الرسائل والمسائل ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، تحقيق: محمد رشيد رضا ،دار التراث:القاهرة-مصر ، دط ، مج1 ، ص 29 .

أمّا المعنى الخاص، فهو يخصُّ العقيدة الإسلامية دون سواها، وهو:"الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به أصول الدين، وأمور الغيب وأخباره، وما أَجْمَع عليه السلف الصالح، والتسليم لله في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والإتباع"[1].

ومن خلال المعنيين العام والخاص للعقيدة، يمكننا التمييز بين صحيح العقيدة وفاسدها، وذلك من خلال قيام الحجة والبرهان على صحتها؛ فأيّمَا أحد أراد الحق معه، وفي عقيدته، عليه أنْ يُبَرْهن ويَسْتَدِلَّ على ذلك، بجميع الأدلة التي ذكرْتُها في الفرع السابق، عقلية منها وشرعية.

وقد أعطى علماء الإسلام مسميات ومرادفات عديدة لمصطلح العقيدة فسميت بالتوحيد، والإيمان، والاعتقاد، والشريعة، وأصول الدين، والفقه الأكبر...وغيرها.

ثانيا: أهمية العقيدة

إنّ العقيدة تُعَدّ ضرورة من ضروريات الإنسان، وذلك بحَسب فطرته، التي يميل بها إلى اللجوء لقوة عُلْيا، تَكُون هي الكمال الذي يصبو إليه، وهي الملاذ الذي يأوي إليه في الشدائد، وهذا هو الميل الفطري للتدين، قال تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، أيْ فسدّد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته، وهي الدين، صنعة الله التي خلق الناس عليها[3]. وقال تعالى أيضا:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [4]، وهذا قضاء من الله جل ثناؤه للإسلام وأهله، بالفضل على سائر الملل وأهلِها[5]، ومنه تظهر الأهمية البالغة للعقيدة في حياة أي إنسان، وخاصة المسلم؛ وتجليات هذه الأهمية نوجزها في النقاط التالية :

1- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة ، ناصر بن عبد الكريم العقل ، دار الوطن:الرياض-السعودية ، ط 1، 1991،ص6 .

2- سورة الروم : الآية 30 .

3- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد جرير الطبري ، تحقيق: عبد الله التركي- عبد السند حسن يمامة ، دار هجر:الجيزة-مصر ، ط1: 2001، مج 18، ص 492 -493 .

4- سورة النساء : الآية 125 .

5- المرجع نفسه، مج7، ص 528 .

1– تحقيق الغاية الأولى لخلق الإنسان وهي عبادة الله تعالى.قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، أيْ ما خلقت الجنّ والإنس إلاّ لعبادتنا، والتذلل لأمرنا، وليُقِرّوا بالعبودية، طوعاً وكرهاً[2].

2– إنّ قبول الأعمال متوقف على تحقيق العقيدة الصحيحة، والتي بصحتها،يفوز الإنسان برضا الله ﷻ.

3– العقيدة تُحَدِّد العلاقة بين العبد وخالقه: معرفةً، وتوحيدًا، وعبادةً .

4– العقيدة هي المفتاح الحقيقي، لكل ما يَرِد على ذهن العبد، من تساؤلات وإشكاليات مثل: صفة الخالق، القضاء، والقدر...وغيرها.

5– إنّ النجاة في الآخرة–ابتداء و مآلا– مُتَوقِّفة على صحة العقيدة، قال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[3].

ثالثا: خصائص العقيدة الإسلامية

للعقيدة الإسلامية خصائص، أبرزها وأهمها :

1– تَوْقِيفِيّة

فهي عقيدة ربانية المصدر، موحى بها من عند الله تعالى إلى نبيه ﷺ، فلا مجال لزيادة فيها أو نقصان، وتُعْتَبر هذه الخاصية صمَّام الأمان من التغير والتحريف، عكس باقي العقائد الوثنية الأخرى التي يعبث بها معتنقوها، كيفما شاءوا، ووقتما شاءوا ، حسب أهوائهم ورغباتهم[4].

فالله ﷻ مَنَّ على الإنسان بهذه العقيدة الصحيحة مِنْ عنده، ورحمة به، لا دخل لأي مخلوق كان في تشريعها، لا ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلا، لهم الحق في صياغتها أو إنشائها، فهو وحده سبحانه مُوجِدها ومُنْشِئها، بهذا الكمال، وهذه المِلاءَمة لطبائع الإنسان وغرائزه، فهي قد نظّمتْها وهذّبتْها. أما الفكر البشري قد حاول جَهده وضع الشرائع، فكان مآلها جميعا الفشل الذريع، فرأيت الناس يدخلون في دين الله ﷻ أفواجا، لما عرفوا ما فيه مِنَ الخير والحق، قال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ

1– سورة الذاريات :الآية 56 .

2– المرجع نفسه، مج21 ، ص 555 .

3– سورة الكهف : الآية 110 .

4– الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، تحقيق: علي بن حسن ، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان ابن محمد الحميدان، دار العاصمة:القاهرة–مصر، الطبعة 2 ، 1999 ،ج1، ص374 .

وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾[1].

2- الغيبية

تقوم العقيدة الإسلامية على أصول لا تخضع للحس المباشر أو العقل، بل عالم ليس بهذا ولا ذاك، أَلاَ وهو عالم الغيب.

إنّ كثيرا مِن أمور الدين وعقائده، وأحكامه إنّما هي إيمان بالغيب، فالله ﷻ بالنسبة لنا هو غيب، والحياة البرزخية، والحياة الآخرة، بمقدماتها وموجوداتها، كلها غيب...والجنة والنار كل هذا غيب، يجب الإيمان به[2]. وعُدّ ما شئت من أصول العقيدة الصحيحة، فكلها غيبيات، صدَّق بها المؤمن صحيح الإيمان، لِفَرْط ارتباطه وتصديقه لتنزيل الحكم، الذي جاء فيه :﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[3].

3- الشمول

اتّصفتْ العقيدة الإسلامية بهذه الخاصية، لإحاطتها بكل جوانب الحياة البشرية، والوجود الكوني، فلم تترك شاردة ولا واردة إلا كان لها نصيب من الذكر والتصور؛ وتتجلى خاصية الشمول، في صور شتى، كالوجود بنشأته وحركته، وتطوره، والهيمنة عليه، وتصديقه وتنسيقه، وحقيقة العبودية، مُمَثَلَة في عبودية الكون، والحياة، والإنسان .

فالإنسان لأنه محدود الكينونة من ناحية الزمان والمكان...ولأنه محدود الكينونة من ناحية العلم والتجربة والإدراك...ومحكوم بضعفه، وميله، وشهوته، ورغبته. الإنسان وهذه ظروفه...يجيء تفكيره جزئيا،يصلح لزمان ولا يصلح لآخر،ويصلح لمكان ولا يصلح لآخر، ويصلح لحال ولا يصلح لآخر[4]، فلا يستطيع حُكمه أنْ يشمل كل الجوانب، فإنْ هو أدْرك شيئاً، غابتْ عنه أشياء، بخلاف أحكام العقيدة الإسلامية، التي مصدرها الله ﷻ .

رابعا : التكامل

1- سورة الشورى : الآيتين52 ،53 .

2- عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي ، عثمان جمعة ضميرية ، مراجعة: ناصر الراشد ، مكتبة السوادي:جدة-المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1988، ص 67 .

3- سورة البقرة : الآيتين2 ،3 .

4- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، سيد قطب ، دار الشروق:القاهرة-مصر ، دط ، ص95 .

ومن خاصية الشمول انبثقت خاصية التكامل ، فلا تجد فيها حكما نشازا. فهي كلٌّ مُوَحَّدٌ، متكاملُ البناء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خَلْفه ،كالصورة الواحدة، بحسب ما ثَبَت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها، وعامها المرتب على خاصها، ومطلقها المحمول على مقيدها، ومجملها المفسر ببيّينها...إلى ما سوى ذلك من مناحيها[1].

خامسا : التوازن

ويقصد بهذه الخاصية، الوسطية والاعتدال بين الأمور المتقابلة، فيقع الأمر فيها على قدر كبير من الاعتدال في إصدار الأحكام، وذلك بحكمة ربانية، تُضْبط فيها النسب بين جوانب الحياة وقِيَمِها: فالمال واللذة، والعمل والعقل، والمعرفة والقوة، والعبادة والقرابة، والقومية والإنسانية، والإسلام جعل لكل منها موضعا في نظام الحياة، ونسبة محدودة لا تتجاوزها، حتى لا تطغى قيمة على قيمة[2].

وبهذه السّمات الخمسة أكون قد أوجزت أهم الخصائص، على الرغم مِن وُجود خصائص أخرى كالثّبات والواقعية وغيرها، إلاّ أنّي اقتصرتُ على ما ذكرتُ، والتي بها يتجلى الفرق الواضح والبون الشاسع بين العقيدة الربانية المنزلة من فوق سبع سماوات، وغيرها من العقائد الباطلة، التي ارتضاها الإنسان، رغم بعدها الشديد عن الحق ومجانبته.

1- التفكير الفلسفي الإسلامي ، سليمان دنيا ، مكتبة الخانجي:القاهرة-مصر ، ط1 ،1967، ص247 ،248 .

2- الفكر الإسلامي الحديث ، محمد المبارك ، دار الفكر:بيروت-لبنان ، ص65 .

المطلب الثاني : التعريف بمصطفى محمود

إنّ شخصيتنا في هذا المطلب، من تلك الثلة التي صنعت لنفسها، مكانَ رفعةٍ وسؤدد بين أقرانها، وهذا سبب إفرادي لمطلب كامل للتعريف بهذه الشخصية، ذي الفكر المستنير .

الفرع الأول : مولده ونشأته

إنّه من المنهجية السلمية، ذكر نَسَب الدكتور واسمه، وعائلته، ونشأته، ومراحل حياته، لنتعرف عليه خير التعرف، وتكون في البحث سندا تاريخيا، نستشف منه الخلفيات، والتصورات القبلية لأفكاره .

أولا: مولده

إذن هو مصطفى كمال محمود حسين آل محفوظ، والمشهور اختصارا بـ:مصطفى محمود، في كثير من أعماله ومؤلفاته، ويعود نسبه إلى زين العابدين رضي الله عنه[1]، حفيد النبي محمد ﷺ، فعائلته تُعَدّ من الأشراف سلالة النبي ﷺ[2]،ففي السابع والعشرين ديسمبر سنة1921، وُلِدَ لعائلة آل محفوظ مولوداً، هو ثامن الأبناء فسمِيّ مصطفى .

ثانيا: نشأته

نشأ مصطفى محمود في أسرة كريمة، مستورة، قليلة الدخل في محافظة المنوفية[3]، بجمهورية مصر العربية، ثم انتقل مع عائلته إلى مدينة أخرى،حيث كان والده يعمل موظفا حكوميا بها، التحق الولد بالمدرسة كجميع أقرانه، مع حرص أبيه على تعليمه في الكُتَّاب-أيضا- لحفظ كتاب الله تعالى ، غير أن مصطفى انقطع عن الدراسة في المدرسة لمدة ثلاث سنوات بسبب تلك الحادثة -التي ترويها كثير من المصادر والمواقع- حادثة ضربه من طرف معلِّمَه للغة العربية، أدّتْ بالطفل إلى حالة نفسية معقدة، أدخلته في جو العزلة والاكتئاب، ولم يخرج منها ويعود إلى الدراسة، إلا بعد ذهاب ذلك المعلم ، وانتقاله من كل المحافظة؛ وبعد اِلْتِفاف كل العائلة حوله، صار المدلل الأول فيها، ومع اهتمام أبيه المفْرِط به، أنْسَتْه كل تلك الحادثة، وما تَحْمله مِن آلام وهموم .

1- زين العابدين: هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (38 هـ،94هـ) وفاطمة الزهراء بنت النبي محمد، وكان يسمى علي الأصغر للتميز بينه وبين أخيه علي الأكبر،المعجم الجامع في تراجم المعاصرين، عبد الفتاح أبو غدة،ج1، ص172.

2- مذكرات مصطفى محمود، السيد الحراني،.تحقيق لغوي: إيمان الدواخلي ، دار أُكتب للنشر:القاهرة-مصر ، ط9، 2014 ، ص18 .

3- المنوفية : من قرى مصر القديمة لها ذكر في فتوح مصر، فيقال كورة رمسيس ومنوف، وهي من أسفل الأرض من بطن الريف، معجم البلدان، شهاب الدين الرومي، دار صادر:بيروت-لبنان، ط1995،2،ج1،ص216.

يقول مصطفى عن أبيه:"أبي شكَّلَ الدعم الأكبر لي في هذه المرحلة، فمِن المشاهد التي لا أستطيع حتى اليوم أن أنساها أبدا، أنه بينما كان الآباء من جيراننا يدخلون بيوتهم وفي يد الواحد منهم كيسا من الفاكهة أو الخضار، كان أبي يترك شؤون البيت هذه لأمي، فأبي لم يدخل البيت أبدا، وهو يحمل ربطة فجل، كان يحمل دائما في يديه المجلات والكتب"[1]، وهذا الوضع الذي جاء على لسان مصطفى محمود يُنْبِئنا، عن الظروف التي أحاطت طفولته، وكيف كانت الكتب–التي يحضرها والده– هي صديقته وجليسته، حتى تعلق بها وبالقراءة عموما؛ فانفجرت في هذا الشاب اليافع، الذي التحق حديثا بثانوية طنطا[2] الحكومية، فنَبَغَ في إلقاء القصائد الشعرية، و القصص القصيرة في إذاعة المدرسة، وفي انجازه لمعمل صغير لصناعة الصابون و المبيدات الحشرية[3]، في زاوية من زوايا بيت العائلة الكبير.

ولما انتقل إلى المرحلة الجامعية من تعليمه في عام 1953، بكلية الطب، أين تخصص في مجال الأمراض الصدرية، زاد شغفه بالكتابة، والشعر، والتأليف، وهذا دفعه–بعد إنهاء دراسته الجامعية سنة 1960– أنْ يترك الطب، ويتفرغ تماما إلى العمل في مجال الكتابة[4].

وعطفا على ما ذكرتُ، أُعرِّج على حياته الخاصة، مُمَثَّلة في حياته العائلية، فقد مرّ مصطفى محمود خلال حياته بتجربتيْ زواج، وللأسف كلاهما انتهتا بالفشل والانفصال، فزواجه الأول كان عام 1962، واستمر حتى عام 1973، وقد رُزِق من زوجته الأولى بولديْه "أدهم وأمل"، وبعد عشر سنوات من انفصاله عن زوجته الأولى، خاض تجربة الزواج مجددا من السيدة زينب حمدي في
عام 1983، ولكن تلك التجربة استمرت أقل من سابقتها، لتنتهي هي الأخرى بالطلاق في عام 1987،ومنها عاش حياة العزوبية، مكرّسا حياته للكتابة والبحث العلمي فقط[5].

ثالثا: أعماله ونشاطاته

بعدما أتمّ مصطفى محمود دراسته، عَمِل طبيبا في مستوصف، بأحد ضواحي مدينة القاهرة مدة عامين، ثم استقال منه، لعدم ارتياحه لظروف العمل فيه، ثم انتقل إلى مستوصف آخر بالصحراء الذي

1– مذكرات مصطفى محمود، السيد الحراني، المرجع السابق ، ص20 .

2– طنطا: مدينة مصرية وسط الدلتا، عاصمة محافظة الغربية، يقع فيها مقام السيد البدوي، تبعد 90كم عن القاهر، جهة الشمال، معجم البلدان، شهاب الدين الرومي ، المصدر السابق، ج1 ، ص140.

3– مصطفى محمود مشوار العمر ، محمد رضوان، دار المعارف:القاهرة–مصر ،ط1 ،2010 ، ص7 .

4– مقال السيرة الذاتية للفيلسوف المصري " مصطفى محمود "، هدير محمد ، موقع المرسال ، شخصيات ثقافية ، عدد 26 ديسمبر 2016 ، www.almrsal.com، تاريخ التصفح: 06جوان2019.

5– مقال السيرة الذاتية للفيلسوف المصري " مصطفى محمود "، هدير محمد ، موقع المرسال ، المقال السابق .

قال عنه:" التي هيأ لي العمل بها، العزلة، وموقعها الجغرافي آنذاك، كان في الصحراء التي تتسم بالهدوء والتأمل، وكانت هذه الظروف داعية، لأن يُولَد الأديب، والمفكر، والفيلسوف الكامن بداخلي"[1].

وبينما كان يزاول مهنة الطب، إذ تعرف على نخبة من الأطباء والأدباء ك: يوسف إدريس[2] و ثروت عكاشة[3] وإحسان عبد القدوس[4]، هذا الأخير رشحه للعمل في مجلة روز اليوسف، وقد وافق إشباعا لرغبته في الكتابة والتأليف، حيث في هذه الفترة ألَّف العديد من الكتب منها:"الله والإنسان " "عنبر"، " رائحة الدم "،"أكل عيش"و"لغز الموت "وغيرها من الكتب،التي كانت تتحدث عن الطب، وعن علاقته بالمرضى الذين يداويهم، إلا كتاب"الله والإنسان"-الذي سأذكرُه في قادم الفروع- حيث كان موضوعه يدور حول، ماهيّة الدّين، علاقة المخلوق بالخالق.

مع كل هذا الزّخَم مِن الكتابة، والنشاط التأليفي، لم ينس مصطفى محمود اهتمامه بشؤون مجتمعه وأحواله، فأخذتْ أعماله التطوعية والاجتماعية تزداد، وما سأذكره هنا، قليلٌ مِنْ كثير؛ كإنشائه مؤسسة محمود الخيرية، التي تتكون من مجموعة من أكبر المستشفيات والعيادات التخصصية في مصر، والتي أصبحت تستقبل يوميا آلاف المرضى،في شتى التخصصات، وإجراء أكثر من ستين(60) عملية جراحية يوميا وكان ذلك مجانا، وبدون مقابل، وبلغ عدد المراكز التي ضمتها المؤسسة ستة(6) مراكز طبية كبرى.

رابعا: **أزمات تعرض لها مصطفى محمود**

كانت هذه الأزمات عبارة عن مضايقات يتعرض لها من جهتين مختلفتين، الجهة الأولى دولة الكيان الصهيوني، وأما الجهة الثانية هي الجماعات المتطرفة في مصر آنذاك .

1- مضايقة دولة الكيان الصهيوني

وتمثلت في محاولة توقيف برنامج" العلم والإيمان"-وهو أشهر برنامج في ذلك الوقت،كان يقدمه مصطفى محمود- بحجة أنه برنامجٌ تحريضيٌ، يُشَهِّر فيه بدولة إسرائيل وبرنامجها النووي، وهذا حسبهم يُعْتَبر تحريض ضد السامية، وكذلك تمثلت المضايقات في محاولة وقف مقالاته في جريدة الأهرام

1- مذكرات مصطفى محمود، السيد الحراني، المرجع السابق ،ص36 .

2- يوسف إدريس (1927- 1991) طبيب و أديب مصري ، مارس الصحافة في كبريات الصحف المصرية في بداية الستينات.

3- ثروت عكاشة (1921- 2012) كاتب و صحفي مصري ، شارك مع الضباط الأحرار في ثورة يوليو 1952 ، ووزير سابق للثقافة .

4- إحسان عبد القدوس (1919- 1990) كاتب قصصي وروائي مصري، كتب نحو 600 قصة قصيرة و 70 رواية، أمه تملك مجلة روز اليوسف المشهورة في مصر. الوفيات والأحداث، محمد السلامي، دار الرسالة:القاهرة-مصر،ط1، 1982 ، ج1 ، ص213.

المشهورة، وبنفس الحجة ذاتها، مع تقديم احتجاج رسمي من دولة الاحتلال، هذه المرة إلى السلطات المصرية، جاء فيه:" إنّ المنظمات اليهودية المعادية للتشهير، قد أبدت استياءها من مقال للدكتور مصطفى محمود نشر في الأهرام بتاريخ:1994/03/19لأنها ترى فيه هجوما على"اليهود " واتهاماً لهم بالتآمر على الآخرين، وهو ما يَدْخُل باب العداء للسامية".وهنا ساءت حالته النفسية جدا، لأن الدولة المصرية تخلتْ عنه أمام الملاحقة الإسرائيلية له[1].

2- مضايقة الجماعات المتطرفة

قد وصلت مضايقة الجماعات المتطرفة له، حدَّ هَدْر دمه، وذلك كله بسبب بعض كتبه، وخاصة كتاب"الله و الإنسان"، لأن هذه الجماعات رأت في الكتاب، دعوة صريحة للإلحاد و المروق من الدين، غير أن الواقع عكس ذلك؛ إذ قال فيه أحد المفكرين:" كتاب الله والإنسان عبر عن مفتاح شخصية مصطفى محمود الباحث عن الحقيقة، الذي يبحث عن الحقيقة ليس شرطا أن يصيبها تماما، لأن الحقيقة صعبة ومتعددة الأبعاد، فمحتمل جدا أن يخطئ، ولكن هذا الخطأ لا يُعَدّ كفرا أو ارتدادا...فمصطفى محمود باحث عن الحقيقة، والحقيقة المطلقة هي الله تعالى، ومِن أجل هذا جلس يبحث و يبحث، و انتهى إلى ما يشبه التصوف لأنه هو أقرب الأبواب إلى الله"[2].

غير أنه فيما بعد، تمت تبرئة الكتاب، من الوصف الذي نَعَتَهُ به المتطرفون، من طرف رئاسة الأزهر.

هـ-مرضه ووفاته

من أكثر البلاءات التي تعرض لها، والتي أرهقت كاهله، ونخرت جسمه هو مرضه، أو بالأحرى أمراضه، فقد تراكمت عليه عديد الأمراض الخطيرة والخبيثة؛ فأول ما أُصِيب به، مرض مجهول أدخله المستشفى، وذلك في فترة الجامعة، حيث انقطع عن الدراسة مدة سنتين، وبعدها أُصِيب بمرض سرطان القولون، الذي عانى منه كثيرا، خاصة أن وقتها-في فترة الستينات- لا تتوفر أجهزة الكشف المبكر عن هذا المرض، ومنه أُصِيب ثالثةً، بالقلب، ثم الأمعاء، إلى أنْ انتهى به البلاء، بالجلطة الدماغية، التي شلّتْ حركته تماما، فأصبح حبيس الفراش بمنزله منذ سنة 2003، إلى أنْ فارق الحياة، بتاريخ 31أكتوبر2009 عن عُمْرٍ ناهز 88 عاما[3].

1- مقطع من حصة: مع وائل الأبراشي1:قصة حياة مصطفى محمود يرويها ابنه،من الدقيقة 14د:20ثا،بتاريخ:05ماي 2014.

2- مقطع من حصة : مع وائل الأبراشي2، قصة حياة مصطفى محمود يرويها ابنه ، من الدقيقة 14د، بتاريخ:05ماي2014.

3- مقال السيرة الذاتية للفيلسوف المصري " مصطفى محمود "، هدير محمد، موقع المرسال، المقال السابق .

الفرع الثاني : فكره وآراؤه العقدية

قبل البدء في بَسْط فكره، وذِكر بعض آرائه العقدية، أرغب في التنويه إلى أمر ذي أهمية كبيرة، ألاَ وهو أنّ مصطفى محمود رجلٌ أديب ومفكر، وليس عالما أكاديميا متخصصاً في مجال الدراسات الإسلامية، كما قال هو عن نفسه، وبالتالي لا نستطيع أن نحاكم أفكاره وأقواله بنفس الميزان الذي نحاكم، ونناقش به أفكار، وأقوال غيره من ذوي الاختصاص.

أولا: حرية الاعتقاد

تناول مصطفى محمود قضيةَ حرية الاعتقاد، في أكثر من كتاب من كتبه، خاصة كُتُب:"لغز الموت" و"الله" و"القرآن محاولة لفهم عصري" و"حوار مع صديقي الملحد"، و أيضا من خلال برنامجه التليفزيوني الشهير"العلم والإيمان" .

حيث ركّز على أن الإسلام، دين لا يَقْهَر، ولا يُرْغِم أحدا على اعتناقه وإتباعه، بل يترك مُطْلق الحرية للناس في اختيار الدّين الذي يرضون به، حيث قال:"هذه الحرية، ما نشعرُ به، من استحالة إكراه القلب على شيء، لا يرضاه تحت أي ضغط...ومعنى هذا أن الله أعتق قلوبنا من كل صنوف الإكراه و الإجبار، وأنه فطرها حرة...ولهذا جعل الله القلب والنية عُمْدةُ الأحكام، فالمؤمن الذي ينطق بعبارة الشرك، والكفر تحت التهديد، والتعذيب لا يحاسب على ذلك، طالما أنّ قلبه من الداخل مطمئن بالإيمان، وقد استثناه الله من المؤاخذة في قوله تعالى:﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[1]، وهذه الحرية حقيقة، ودليلنا عليها، هو شعورنا الفطري بها في داخلنا، ونحن نشعر في كل لحظة، أننا نختار ونُوَازِن بين احتمالات متعددة، بل إنّ وظيفة عقلنا الأولى، هي الترجيح و الاختيار بين البديلات"[2]؛ وإثراءً لهذا الموضوع أشار إلى ثلاث قضايا هامة هي :

1- علاقة الإيمان بالإرادة

حيث أنّ مصطفى محمود يقول بوضوح:"لقد رفض الله أن يكره الناس على الإيمان، وكان هذا في إمكانه، ولكنه أراد للإنسان أن يكون حرا مختارا، الإيمان أو الكفر. قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ

1- سورة النحل : الآية 106 .

2- حوار مع صديقي الملحد ، مصطفى محمود ، دار المتوسط:بيروت-لبنان ، دط ، ص12 ، 13 .

فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾[1]، إنّ الله يتركنا ولو اخترنا العمى على الهدى، وبهذه الحرية التي قَبِلها الإنسان مختارا حقت عليه المسؤولية والمحاسبة"[2].

2- موقف إبليس

يرى أنّ إبليس هو الذي اختار ما هو فيه، عندما امتنع عن تنفيذ أمر الله بالسجود لآدم، وليس الله هو الذي أجبره على ذلك، فموقف إبليس نابع من حريته في الاعتقاد والتفكير، التي جرّته إلى العصيان، فكان عقاب الله، جزاء من جنس عمل إبليس. حيث قال:"اختار إبليس لنفسه الغرور بغير علم ولا حق، فاختاره الله ليغرر بالناس، وقضى عليه قضاءً من جنس ضميره"[3].

3- التسيير و التخيير

وتحت عنوان "الإنسان مسير أم مخير"، كَتَبَ قائلا:"الحرية عملية مرتبطة باحتكاك الإنسان ببيئته وظروفه...فوجود قيود الحاجة، والفقر، والقانون، والأديان، والتقاليد أمر حتمي...ولهذا فمن العبث اعتبار الإنسان مُسَيّر بسبب هذه الضغوط"[4].

ومن هنا أقول أنّ مصطفى محمود، أجاد في طرح قضية حرية الاعتقاد طرحا سلسا سهلا، ومقنعا، موضحا أنّ الإسلام يُعْلِي من قدْر الإنسان واختياراته، وذلك عندما جعل الإرادة الإنسانية أساسا للإيمان، وأجاد بتوضيح موقف إبليس، الذي يَخْلِط فيه الكثير، فيتَوهَّمون أنّ إبليس في الحالتين، سجد أم لم يسجد سيقع في المعصية، وبطريقة منطقية مُبَسطة، مُبَيّنًا في الأخير، كيف أنّ الإسلام أعطى للإنسان المكانة والقيمة، ولا يفرض عليه قناعة محددة إجبارا.

ثانيا: دليل الأثر النفسي على وجود الله تعالى

من المعلوم أنّ مسألة وجود الله تعالى لم تكن مطروحة خلال القرون الثلاثة المفضلة، حتى دخلتِ الفلسفة اليونانية إلى بلاد المسلمين، فظهرتْ مسائل علم الكلام، ومن ضمنها مسألة الاستدلال على وجود الله تعالى، ومِمَنْ اهتمّوا بها، علماء الكلام المسلمين، الذين اعتمدوا جملة من الأدلة على وجود الله ﷻ، استنبطوها من الوحييْن(القرآن الكريم والسنة النبوية)، ومنها دليل الأثر النفسي الذي هو كل ما اشتملته النفس البشرية من: أعضاء، وجسد، وروح، فهي كلها دالة على الخالق عز وجل؛ وقد أثار مصطفى محمود هذا الدليل، بسؤال مهم: ما معنى الله موجود ؟

1- سورة الكهف : 29

2- القرآن محاولة لفهم عصري ، مصطفى محمود ، دار الشروق:بيروت-لبنان ، دط ، 1970 ، ص32، 34 .

3- المصدرنفسه ، ص46 .

4- لغز الموت ، مصطفىَ محمود ، دار العودة:بيروت-لبنان ، دط ، 1972، ص56 .

فيستطرد مناقشا بقوله:"معناه أنْ يطمئن القلب وترتاح النفس، ويسكن الفؤاد، ويَزُول القلق، فالحق لابد واصل لأصحابه، فلن تذهب الدموع سدى، ولن يمضي الصبر بلا ثمرة، ولن يكون الخير بلا مقابل، ولن يمرّ الشرّ بلا رادع، ولن تفلت الجريمة بلا قِصاص؛ معناه لا عبث في الوجود، إنّما الحكمة في كل شيء، وحكمة من وراء كل شيء، وحكمة في خلق كل شيء، في الألم حكمة، وفي المرض حكمة، وفي المعاناة حكمة، لأنّ الله موجود فإنّك لستَ وحدك، وإنّما تحفّ بك العناية حيث سرتَ ، وتحرسك المشيئة حيث حللتَ"[1]. قال تعالى:﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[2] ، مَنْ تفكَّرَ في خلق نفسه، عرف أنّه إنما خُلِق ولِينَتْ مفاصله للعبادة[3] .

ثالثا: مراحل في فكره

لقد عاش مصطفى محمود مخاضا عسيرا في حياته، تجلى في كثير من المعاناة النفسية والجسدية، والتي قسّمت حياته إلى ثلاث مراحل متباينة في الزمن، وفي الشعور الوجداني. نُوجِزُها فيما يلي:

1- مرحلة التأمل والتدبر

لعل هذه المرحلة بدأت معه منذ الصغر، فقد كان التأمل المشوب بعزلة، من صفاته الملازمة له، حتى دخل الجامعة أين سمي"المشرحجي"، وذلك لحبه الشديد العمل داخل مشرحة الكلية، والمكوث بها، ليس حبًّا للدماء، أو الأعضاء المقطعة، وإنما للتدبر في بديع صُنْع هذه الأعضاء وشدة إتقانها. وقد ساورته عديد التساؤلات، منذ مراهقته عن الله، والخلق، وغيرها من الأسئلة المحيرة لكل ذي لب. حيث قال عن نفسه:"كان ذلك من زمن بعيد لست أذكره...في مطلع المراهقة...حينما بدأتُ أتساءل في تمرد"، وقوله:"واحتاج الأمر إلى ثلاثين سنة من الغرق في الكتب، وآلاف الليالي من الخلوة والتأمل والحوار مع النفس..."[4].

2- مرحلة الإلحاد (الشك)

كان مصطفى محمود يحب تسميةَ هذه المرحلة، بمرحلة الشك لا الإلحاد .

1- مقال معنى وجود الله، مصطفى محمود، مجلة صباح الخير ، عدد: 23 أفريل 1978 .

2- سورة الذاريات : 21 .

3- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق : حكمت بن بشير بن ياسين ، دار ابن الجوزي:الرياض-المملكة العربية السعودية ، ط1 : 2010 ، ج7، ص 521 .

4- رحلتي من الشك إلى الإيمان ، مصطفى محمود ، دار المعارف:القاهرة-مصر ، دط ، ص7،8 .

ومبتدأُ هذه المرحلة كان تراكم الأسئلة، والإشكاليات التي كان يطرحها عقله الصغير أيام عزلته وخلوته للتأمل، من قبيل: مَنْ خلق الله؟، وإذا كان قد جاء بذاته، وصح في تصوركم أنْ يتمَ هذا الأمر...فلماذا لا يصح في تصوركم، أيضا أنّ الدنيا جاءت بذاتها، بلا خالق، وينتهي الإشكال؟[1]. وقد تم التصريح بهذه المرحلة، وإعلانها من خلال ما كتبه، إذ خطّت يمينه:"..لقد رفضتُ عبادة الله، لأني اسْتَغْرقتُ في عبادة نفسي، وأُعْجِبْتُ بومضة النور، التي بدأت تومض في فكري مع انفتاح الوعي وبداية الصحوة من مهد الطفولة"[2]. وأعطى مبررات لعقله، في خوض هذه المسائل، ومناقشتها إبّان هذه المرحلة، حيث قال:"ولكني جئت في زمن تَعقَّد فيه كل شيء، وضَعُف صوت الفطرة، حتى صار همسا، وارتفع صوت العقل، حتى صار لجُاَجَةً وغرورا واعتدادا...والعقل معذور في إسرافه، إذ يرى نفسه واقفا على هرم هائل من المنجزات، وإذ يرى نفسه مانحا للحضارة، بما فيها من صناعة وكهرباء وصواريخ...فتصَوَر نفسه القادر على كل شيء، وزجّ بنفسه في كل شيء، وأقام نفسَه حَكَمًا على ما يعلم و مالا يعلم"[3].

فيُقِرُّ بقوله هذا، أنه قد اكتسب عقلا، يدخل في كل شيء، وسماه فيما بعد بالعقل العلمي المادي، الذي أصبح الوسيلة التي تَعَرَّفَ بها على الله، بطريقة مادية صِرْفة، فجعل الله هو الطاقة الباطنة في الكون التي تنظمه؛ وجعل الله هو الكل، ونحن التجليات. الله هو الوجود المادي الممتد أزلاً و أبداً بلا بدء وبلا نهاية. فقال عن كل هذا:" وبذلك وقعتُ في أَسْر فكرةِ وحدة الوجود الهندية[4]...عن الطاقة الباطنة الخَلّاقة وكلها فلسفات تبدأ من الأرض...من الحواس الخمس...وعِشْتُ سنوات في هذا الضباب الهندي...ومارستُ اليوجا[5]، وقرأتها في أصولها، وتلقيت تعاليمها على أيدي أساتذة هنود"[6].

1- المصدر نفسه، ص7 .

2- المصدر نفسه، ص8 .

3- رحلتي من الشك إلى الإيمان ، مصطفى محمود ، مصطفى محمود ، المصدر السابق ،ص9 .

4- وحدة الوجود الهندية : مذهب فلسفي : يقول بأن الله و الطبيعة حقيقة وحدة ، يعني أن الكون كله منبثق عن الله وما الكون كله إلا مظهر لله. ، وقد انتشرت قي الهند واليونان . ومن رواده المعاصرين : سبينوزا ، هيجل ،أما عند العرب: ابن عربي ، بن الفارض. الأديان الوضعية، مجموعة من الأساتذة، جامعة المدينة العالمية، ص102.

5- اليوجا: هي مجموعة من الطقوس الروحية القديمة أصلها الهند ، وهي تلك الرياضة التي تقوم على أساس من التذكر والتفكير والصمت، وبهذه الرياضة يحصل الفرد على "جنانا" الوسيلة الوحيدة للخلاص من كل الآلام والبلايا والمصائب. الأديان الوضعية، مجموعة من الأساتذة، جامعة المدينة العالمية، ص43.

6- المصدر نفسه، ص12، 13 .

ومن هذا كله نجد مصطفى محمود، قد خاض العديد من الطقوس وحتى من الأفكار الوجودية البعيدة كل البعد عن جادّة الدين وصحيحه، إلى أن أنجاه الله منها برحمته وعطفه ﷻ.

3- مرحلة الزهد والتصوف

قد لاحظ كثير من الدارسين أنّ هذه المرحلة ظهرت لسببين اثنين هما:

أ- توالي الأمراض وكثرتها، ومكوثه الطويل في المستشفى، وابتعاده عن زخم وفوضى المدينة ومشاغلها، جعله يدخل في شبه عزلة إجبارية، انكبّ خلالها بمراجعة كل ما كتبه وما قاله، والإصغاء إلى صوت القلب، بدلا من صراخ العقل، الذي كان طاغيا عليه.

ب- انتشار الطرق الصوفية من حوله، فقد كان منزله مجاورا لإحدى أهم الطرق الصوفية في القاهرة، حيث كان يتردد عليها بين الفينة والأخرى، فترك ذلك أثرا فيه وفي كتاباته، فنبرة الصوفية، ومراجعة النفس، ومحاسبتها لا يخلو منها عمل من أعماله، حتى عمله كطبيب ومن قبلها دراسته للطب لا يخلو من روحانية عميقة الجذور في روحه وعقله.

حيث يقول عن ما كتبه:"إنّ ما أكتبه فن ، فنٌ خيِّر، الهدف منه التحبيب في الخير والتنفير من الشر، وأنا لست رجل دين، بل أنا فنان دخلتُ إلى رحاب الدين من باب الفضل الإلهي، والفن كان دائما ضعفي وقوتي، وكل ابن آدم خطّاء، ولهذا لم أَدَّعِ لنفسي العصمة، ودائما أُرَاجِع ما أكتب، فإنْ رأيتُني كَتَبْتُ صوابا فمن الله، وإنْ كتبتُ خطأ فمِمَا سولتْ لي نفسي، بهذه الروح أُحِب أنْ يقرأُني الناس"[1].

ومما زاد في ثبوتَ صوفيته في هذه المرحلة، مؤلفاته التي تدور في فلك التصوف وحياضه، مثل:"الوجود والعدم"، "رأيت الله"، "السر الأعظم"، وكلها تحمل في طياتها الصبغة الصوفية، والنبرة الروحانية، التي أُشْرِبها في آخر حياته، حسب ما صحّ من المصادر.

رابعا: أهم انجازاته ومؤلفاته

لقد عجّت مكتبة الدكتور مصطفى بغزير الأعمال الثرية، والمنتجات المهمة التي سنحاول تسليط الضوء على جزء منها، فيما يأتي:

1-كتبه ومؤلفاته[2]

زادت مؤلفاته عن ثمانين كتابا، يمكن تقسيمها كما يلي:

1- مصطفى محمود و التصوف ، أحمد كمال الجزار ، الهيئة العامة المصرية للكتاب:القاهرة-مصر، دط ،1999 ، ص79 .

2- مذكرات مصطفى محمود ، السيد الحراني ، المرجع السابق ، ص189 .

أ- كتب فكرية، ومنها:

لغز الحياة 1967، رحلتي من الشك إلى الإيمان 1970، الله 1972، السر الأعظم 1975، الإسلام ما هو؟ 1984، رأيت الله 1992، الشفاعة 2000

ب- مقالات، ومنها:

الله والإنسان 1956، الروح والجسد 1973، الشيطان يحكم 1986، سواح في دنيا الله 2000.

ج- قصص وروايات، ومنها:

المستحيل 1960، رجل تحت الصفر 1966، الطوفان 1976، الغليان 1977 .

د- مسرحيات، ومنها:

الزلزال 1963، مسرحية غومة 1973، جهنم الصغرى 1982 .

هـ- أدب ورحلات، ومنها:

مغامرة في الصحراء 1969، حكايات مسافر1971، الطريق إلى الكعبة 1971.

2- البرنامج التلفزيوني"العلم والإيمان"

هو برنامج تلفزيوني، قدمه مصطفى محمود، بداية من سنة1971 مدة ثمان وعشرين سنة، إلى غاية سنة 1999، حيث وصل البرنامج إلى أكثر من 400 حلقة، على شاشة التلفزيون المصري العمومي، ثم القناة السعودية"اقرأ"، ثم انتشر في كثير من القنوات الأخرى، وكان الهدف الرئيسي للبرنامج، هو المزج بين عجائب وغرائب هذا الكون، وبين الإيمان بوجود الله، وقدرته على تغيير الأشياء، والتأمل في قدرته، وكل ذلك على أساس إيماني بمنهج علمي رصين[1].

إنّ هذا النِتَاج الغزير لمصطفى محمود، يكشف عن شخصية فذّة تستحق العناية والدراسة، لِما قدّمَتْه للعالم العربي و الإسلامي، أو الإنسانية جمعاء، من فكر مستنير، يضيء للإنسان في كل مكان دربه، وطريقه ليسترشد بها في غمرة وظلمة هذا العالم الذي أصبح أكثر وحشية من ذي قبل.

1 من أسرار القرآن ، مصطفى محمود ، دار المعارف:القاهرة-مصر ، ط5 ، ص94 .

المبحث الثاني :

دلائل الآفاق عند مصطفى محمود

المطلب الأول : مضمون دلائل الآفاق ودلالاتها

الفرع الأول : مضمون دلائل الآفاق عند مصطفى محمود

الفرع الثاني : دلالات الآفاق عند مصطفى محمود

المطلب الثاني : أنواع دلائل الآفاق عند مصطفى محمود

الفرع الأول : دليل الخَلق

الفرع الثاني : دليل النّظام

الفرع الثالث : دليل العناية

المبحث الثاني : دلائل الآفاق عند مصطفى محمود

بعد البسط والاستفاضة في المفاهيم والتعريفات لجملة من المصطلحات في المبحث السابق، أتناول في هذا المبحث دلائل الآفاق عند مصطفى محمود من شقيْن اثنيْن:

أولهما: شق دلالي لهذا المصطلح المركب"دلائل الآفاق"، من وِجهة نظر مصطفى محمود، وكيف علل بها على وجود الله تعالى، وأحاول أن أرصد بعض أقواله في هذا الشأن.

ثانيهما: شق أذكر فيه، تقسيم مصطفى محمود لدلائل الآفاق، مع التمثيل لكل قسم.

المطلب الأول : مضمون دلائل الآفاق ودلالاتها

الفرع الأول : مضمون دلائل الآفاق

إنّ مصطفى محمود ومن خلال ما مرّ به من فترات تأمل ونظر في ملكوت السماء والأرض، جعلته يعطي لموضوع دلائل الآفاق في كتاباته، أو في برنامجه التلفزيوني"العلم والإيمان" حيزا كبيرا، مستغرقا به الجهد والوقت، وهذا لكونه طبيباً عالِماً بعلوم المادة ونظرياتها، فزاده تعمقاً ومعرفة ودراية بدليل الآفاق، حيث يقول:"هكذا قدّم لي العلم الفكرة الإسلامية عن الله"، وما قال مقالته هاته إلاّ في معرض ذكره لإبداع الله تعالى في خَلْق الكون وما يحمله، فقال قبلها:"وهو المبدع الذي عزف بإبداع هذه المعزوفة الكونية الرائعة"[1].

وهذا ما يُدَعِّم قولي بأنّ مصطفى محمود أعطى لمضمون دلائل الآفاق حدًّا شاملاً، أَدْخل فيه كلَّ ما خلق الله ﷻ، مما أَقلَّتِ السماء، وحَملتِ الأرض، ومما انتشر في الأكوان؛ إذ يرى أنّ كل المخلوقات التي على وجه البسيطة تخفي أسرارا، فما عليك إلاّ النظر والتدقيق لتصل إلى الحقيقة المنشودة، حيث قال في ذلك:"الطبيعة يكتنفها السر، إنّها ليست كما تبدو على السطح بالنظر الساذج الموضوعي، الطبيعة أعمق من مجرد كونها خريطة، ومسطحات ممدودة وشكلا جغرافياً"[2].

ويقول أيضا:"الكون بكافة صوره مخلوق من خامة واحدة على مقتضى خطة واحدة، وأسلوب واحد وقوانين واحدة...فخالقه بداهة لابد أنْ يكون واحدا"[3]. ومعنى ذلك أنّ جميع مكونات الخَلْق حيِّها كالإنسان، والحيوان، والنبات، وجمادِها كالنجوم والجبال، والبحار والأجرام، دلائل واضحة على وجود

1- رحلتي من الشك إلى الإيمان ، مصطفى محمود ، المرجع السابق ، ص16 .

2- تأملات في دنيا الله ، مصطفى محمود ، دد ، دط ، ص31 .

3- رأيت الله ، مصطفى محمود ، دار المعارف:القاهرة-مصر ، دط ، ص149 .

الله الخالق، والصانع لهذا كلّه ﷻ، قال تعالى:﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ ﴾[1] أي: يفعل ذلك بقدرته العظيمة الذي قد أتقن كل ما خلق، وأودع فيه من الحكمة ما أودع[2]. ويقول مصطفى محمود في ذلك:"إنّ الله موجود ليس لأنّ المسلمين يؤمنون بوجوده، ولكن لأنّه حقيقة مطلقة أزلية لا معنى لأي شيء بدونها، الله هو سر الجمال، والرحمة، والمودة، والحرية والحياة"[3]. إذن لا تخرج دلائل الآفاق عند مصطفى محمود، عن الخَلْق، والحكمة مِن نظام هذا الخلق، وأسرارٍ يحتاج الإنسان إلى تفكير وتدبر لإدراكها، ولم يخالف بهذا رأيَ الإسلام في فهم دلائل الآفاق، فقد وافق في تصوره تَصوُّرَ بعض العلماء مِنَ المتقدمين والمتأخرين على حدٍّ سواء، الذين أَجْمَعوا على أنّ الله في كتابه العزيز، قد أعطى أمثلة لتلك الدلائل يُبَيِّن مضمونها بكل وضوح، ومثال ذلك :

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[4].

وقوله تعالى في آية أخرى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾[5]، وغيرهما من الآيات الكثيرة، التي يصف فيها الله خَلقه لعبادِه لعلهم يُعْمِلون العقول ليعبدوه وحده، وعلى هذا يُقَاس جميع ما في الكون، ابتداءً من دوران الشموس في أفلاكها، وانتهاءً بدوران الذرات في دائرة جاذبيتها، حتى يَعْلَم النّاس أنّ الله حق، ووجوده حق، وما دونه مِن الأرباب باطل، قال تعالى:﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[6]. فهذه الآفاق من سماوات وبحار وأنهار وأرض وليل ونهار وجبال وغيرها، لا شك أنها ستكون سببا في هِداية أصحاب الفطرة السليمة- الذين لم تتشوه فِطرهم بالتكبر أو التقليد- أمّا من أبعدته الغفلة عن النظر والتدبر، فجاء القرآن الكريم بآيات قرآنية تدعوه إلى إعادة النظر في الآيات الكونية لعله يؤب ويرجع، ومن الآيات التي تعتبر دليلا على ذلك. قوله تعالى:﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ

1- سورة النمل : الآية 88 .

2- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، المصدر السابق ، مج6 ، ص217 .

3- سواح في دنيا الله ، مصطفى محمود ، دار أخبار اليوم: القاهرة-مصر- ، عام2000 ،دط ، ص191 .

4- سورة البقرة : الآية 164 .

5- سورة آل عمران : الآيتين 190،191.

6- سورة فصلت : الآية 53 .

شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1]، ففي الآية دعوة ضمنية للنظر العقلي في السموات والأرض لتحصيل العلم اليقيني بالله تعالى، وكذلك قوله تعالى:﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾[2]، فهذا أمر بالتدبر العقلي للوصول إلى الإيمان بالله.

الفرع الثاني : دلالات الآفاق

إنّ الله ﷻ أنشأ الخَلْق، وأحْكم نظامه، ليُرْسل إشاراتٍ ودلالاتٍ[3]، تقتضي من الإنسان إدراكها، واستيعاب الحِكَمَ منها، فالله لم يَخْلُق شيئاً عبثاً، فهو خَلَق ليتحدى الأنداد، ونَظّم تعظيماً لنفسه وصفاته، وسَخَّر ليكرّم عباده، وقد لمح مصطفى محمود لبعضٍ مِن هذه الدلالات، التي أَذْكر منها:

أولا : دلالة التحدي الإلهي

قال تعالى:﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[4]، أي: "خَلَقَ العالم العلوي والسفلي، من جماد، وحيوان، وسَوْقِ أرزاق الخلق، هو وحده لا شريك له مَنْ يفعل ذلك، وكلٌّ مقرٌّ بذلك حتى أنتم يا معشر المشركين، يلزم مِنْ هذا أنّ الذين جعلتموهم له شركاء، تدعونهم وتعبدونهم، أن يكون لهم خلق كخلقه، ورزق كرزقه، فإنْ كان لهم شيء من ذلك فأرونيه، ليصح ما ادعيتم فيهم من استحقاق العبادة، ومن المعلوم أنهم لا يقدرون أن يوروه شيئا من الخلق، لأن جميع المذكورات، قد أقروا أنها خلق اللّه وحده، فثبت عجزهم"[5]، هذا تحدٍ إلهيٍّ صريحٍ جاء في القرآن الكريم لكفار قريش، ومازال هذا التحدي قائماً حتى قيام الساعة، وفي زماننا هذا تجرأ أحد الملحدين، وقال إننا تطورنا علمياً في كل المجالات، وسنَعْرف

أسرار كل شيء، وسوف نُقَلد الحياة على الأرض، ونخلق كائنات حية! وقيل أيضا: أخيراً سوف نتمكن من خَلْق إنسان كامل، ولا داعي بعد الآن للحديث عن وجود الله! ولكنّ جواب الله ﷻ لن يتأخر، حتى طالَعَتْنا جريدة بريطانية مرموقة بمقال عنوانه:"الحياة سرٌّ كبير" وملخصه مايلي:

1- سورة إبراهيم : الآية 10 .

2- سورة يونس : الآية 101 .

3- الدلالة: كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر. والأول هو الدالّ، والثاني هو المدلول. أَفْعَالُ الرَّسُول ﷺوَدَلاَلَتَهَا عَلَى الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ،محمد الأشقر العتيبي،مؤسسة الرسالة: بيرت–لبنان،ج1،ص395.

4- سورة لقمان : الآية 11 .

5- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان السعدي، المرجع السابق ، ص 760 .

أنّ علماء من جامعة" أدنبرا البريطانية" قاموا ببناء كمبيوتر عملاق كلّفهم ملايين الدولارات، وكانوا يهدفون من خلاله إلى معرفة سر الحياة أو ما نسميه(الروح)، ولقد بلغت سرعة هذا الجهاز المسمى"سوبر كمبيوتر" تريليون عملية حسابية في الثانية! وقاموا بتجارب استمرت ثماني سنوات حوْل الخلية، والحياة، والكون لمعرفة سبب نشوء الحياة على الأرض، وما هي احتمالات أن تكون الحياة قد نشأت بالصدفة؟! لقد قاموا بإدخال بلايين المعلومات، والبيانات، والقوانين الفيزيائية التي تَحْكم الكون، وقاموا بوضع مخططات لهذه الدراسة بهدف معرفة كيف بدأت الحياة؟ طبعاً ليس بهدف العبرة والموعظة والوصول إلى الإيمان بالله تعالى، بل محاولة منهم لتقليد نموذج الحياة على الأرض! ولكن ومن عظمة الله تعالى، وبعد جهود كبيرة اعترفوا من خلال هذه المقالة وغيرها بعجزهم وفشل تجاربهم حول سر الحياة، وقال الفيزيائيون مِن نفس الجامعة، كُنّا نحاول معرفة سلوك المادة والطاقة. ولكنْ مُهمة الكمبيوتر قد باءت بالفشل[1].

إن هذه النتيجة حدثنا عنها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً، يقول تعالى مؤكداً أنه لا يمكن لأحد أن يعلم سر الحياة لأنها من علم الله تعالى، وأن علم البشر قليل:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2]، ولم يكتفوا بهذا فقط، بل حتى سرُّ الخلية الواحدة أعجزهم، والنحلة على ضآلة حجمها أبهرهم دماغها، المحتوي على ملايين الخلايا العصبية المعقدة، التي تعمل بكفاءة تتفوق على هذا السوبر كمبيوتر!

وفي موضوع الروح وماهيتها أبدع مصطفى محمود أيّما إبداع، فردّ كل قول يزعم أنّ الروح هي مادة كالقلب أو الكبد، فإنْ كانت كذلك فأين محلها من الجسد؟! فإنْ كانت كالنَفَس تدخل الجسم وتخرج، فأين هي تفاعلاتها الكيماوية؟! إنّما هي كما في قوله تعالى:﴿ۥإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾[3]، السر ما أسر ابن آدم في نفسه،﴿..وَأَخْفَى ﴾ ما أُخفيَ على ابن آدم مما هو فاعله، قبل أن يعلمه، فالله يعلم ذلك كله، فعِلمه فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد، وجميع الخلائق في ذلك عنده كنفس واحدة[4]؛ فسماها مصطفى محمود"السر الإلهي" الذي تحدى به الجبابرة والطغاة على أنْ يَعْرفوا كُنْهَها ناهيك على أنْ يخلقوا مثلها[5]؛ ومن خلال ما عرضه عن الروح، نستنتج أنّ دلالة التحدي مرتبطة بصفة

1- مقال بجريدة الديلي ميل البريطانية ، عدد 26 فيفري 2008 .

2- سورة الإسراء : الآية 85 .

3- سورة طه : الآية 7 .

4- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، المصدر السابق ، مج5 ، ص275 .

5- رحلتي من الشك إلى الإيمان ، مصطفى محمود ، المصدر السابق ، ص39 .

الخَلْق والاختراع، مُتَضَمَّنة في كل مخلوقات الله تعالى، من صغيرها حتى أعظمها خلْقاً، تحدٍّ يُثْبت الله به وحدانيته، وربوبيته، وأحقيته بالعبادة ﷻ.

يقول تعالى أيضا:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[1] ، ولقد وصل الإنسان إلى القمر، وقد يصل إلى المريخ، وقد يتجاوز دلك، لكنه يظلّ عاجزاً عن خَلْق ذبابة مهما كشف الله له مِن العلم، فلنْ يعطيه القدرة على الخلق، وهذا إعجاز الله وتحديه، لأنّه وحده الذي خَلَقَ كل شيء، وصِفة الخلق مُتَفرّد بها وحده ﷻ[2].

ثانيا : دلالة الكمال والتعظيم

إنّ الله خَلَق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خَلْقه اللائق به، رغم أَعْدَادها التي لم يتمكن العلم الحديث مِن إحصائها، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً، وقد تحدى عباده، وأمرهم أن ينظروا ويكرروا النظر والتأمل هل يجدون في خلقه خللاً أو نقصاً، وأنه لا بد أن ترجع الأبصار كليلةً عاجزةً عن انتقاد شيء من مخلوقاته، بل تنقاد كل النفوس الطيبة، والضمائر الحيّة إلى تعظيم الربِّ ﷻ، وتُقرّ بصفاته وجميع أسمائه، فهو الرحيم صاحب الرحمة، وهو العلي الأعلى بعُلُوّه على عرشه فوق عباده، وبكبريائه، وهو القاهر صاحب الغلبة ﷻ. قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَد مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[3]، يخبر تعالى عن كمال قدرته، وتمام رحمته، وسعة حلمه ومغفرته، وأنه تعالى يمسك السماوات والأرض عن الزوال، فإنهما لو زالتا ما أمسكهما أحد من الخلق، ولعجزت قدراتهم وقواهم عنهما ، ولكنه تعالى، قضى أن يكونا كما وجدا، ليحصل للخلق القرار، والنفع، والاعتبار، وليعلموا من عظيم سلطانه وقوة قدرته، ما به تمتلئ قلوبهم له إجلالا وتعظيما، ومحبة وتكريما، وليعلموا كمال حلمه ومغفرته[4].

1- سورة الحج : الآية 73 .

2- الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى ، محمد متولي الشعراوي ، إشراف: أحمد الزغبي ، موقع: الإسلامي www.islammi.8m.com ، تاريخ التصفح:9جوان2019.

3- سورة فاطر : الآية 41 .

4- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمان السعدي ، المرجع السابق ، ص1442 .

ويُعَزِّز مصطفى محمود هذه الدلالة بفكرة أنّ الفوضى هي فعلنا نحن، ولو شاء الله لأخضعنا للنظام قهراً، كما أخْضع الجبال والبحار والنجوم والفضاء، لكنه ﷻ شاء أنْ ينفي عنّا القهر، لتكتمل بذلك رحمته بنا، ويُثْبتَ أنّه القادر المبدع الملهم كامل الأوصاف، المعتني بمخلوقاته[1].

ثالثا : دلالة العدل الإلهي

لقد استطرد مصطفى محمود في هذه الدلالة، فجعلها مِن أكثر الدلالات تثبيتاً لقلب المؤمن، واستجلاباً لقلب الكافر للحق، وأعطى مِن أمثلتها الكثير، كصور بعض الحيوانات والحشرات المنحطّة ما ذنبها في ذلك؟! أو كوجود الشر؟! ولعل أهمّ مثال ضربه في هذه الدلالة، ووصل به إلى الغاية منها، هو: كيف ينجو الطغاة والظَّلَمة بشرورهم دون حسيب ولا رقيب؟! فتساءل ساخرا بقوله: مثل هؤلاء الجبارين هل مِن المفروض أنْ يُقدم لهم حفلة شاي لأنّ الله هو المحبة ؟! لا يُمْكن، بل إنّ جهنّم هي منتهى المحبة مادامت لا توجد وسيلة غيرها، لتعريف هؤلاء بأنّ هناك إلهاً عادلاً، وهي رحمة من حيث كونها تعريفاً وتعليماً لمِنْ رفض أنْ يتعلَّم من جميع الكتب والرسل؛ أيكون عدلا أنْ يقتلَ هتلر عشرين مليونا في حرب عالمية، يَسْلَخ فيها الأسرى، ويَحرق الألوف منهم، ثمّ عند هزيمته ينتحر هارباً وفاراً مِن مواجهة نتيجة أعماله، إنّ العبث وحده مَنْ يُنْجي هذا القاتل وأمثاله من الذنب ، ولا شيء حولنا في هذا العالم المنضبط الجميل يدُّل على العبث، ولا يكون الله محبةً ولا عادلاً ،إلاّ إذا وُضع هذا الرجل في هاوية أعماله[2].

ومِن هذا المثال يتضح أنّ الشرور في هذه الدنيا بكل أنواعها مِن ظلمٍ، ومرضٍ، ومعاناة، وألمٍ، ستجد لها جزاءً عاجلاً في هذه الدار، أم آجلاً في الدار الآخرة، فيَسْكن بهذا العدل روْع الإنسان ويطمئن قلبه، ويدرك أنَّ لهذا العالم ربّاً متصرِفاً حكيماً عادلاً ﷻ، لا يُظْلم عنده أحد، قال تعالى:﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[3]. فقد خَلق الإنسانَ في أروع صورة وأعظم تقويم، وأعطاه العقل ليفكرَ ويحلل ويتفكر في عظيم صنعه، ويكتشف في الكون وما أودع فيه من الأسرار العظيمة، والكثير من عجائب قدرته ﷻ، فيستلهم الدلالات ويفهمها.

1- رحلتي من الشك إلى الإيمان ، مصطفى محمود ، المصدر السابق ، ص48،50 ، بتصرف .

2- رحلتي من الشك إلى الإيمان ، مصطفى محمود ، المصدر السابق ، ص61 ، بتصرف .

3- سورة الكهف : الآية 49 .

المطلب الثاني : أنواع دلائل الآفاق

إنّ النظر و التدبر في عمومه محمود مرغوب، وإنْ خُصِّصَ للآيات الكونية التي تحيط بنا، فلابد وأنْ يستقيم معه حال الناظر والمتدبر، لأنّ هذه الآفاق والآيات-التي وعدنا الله ﷻ برؤيتها-لها دلائل متعددة ومتنوعة،سيكون لها الأثر البالغ في مُدْخَلات كل نفس تستشرفها بعقل صاف وفطرة سليمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾[1]، فيُرْشد الله تعالى خلقه إلى التفكر في آلائه، ونعمه، وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات والأرض، وما فيهما من المخلوقات[2].

لقد حصر علماء العقيدة-بعد التدبر والنظر- دلائل الآفاق في ثلاثة دلائل كبرى، تدور حولها الحكمة الربانية في كل جزئية من جزئيات هذا الكون الفسيح، وهي: -دليل الخلق-دليل النّظام- دليل العناية .

وهو ما سأذكره بالتفصيل في هذا المطلب، مع التركيز في الاستشهاد والعرض لكل دليل على ما أورده مصطفى محمود، الذي وجدتُ أن اختلافه مع ما ذهب إليه العلماء لم يكن خلافاً بيّناً ولا كبيرًا، بل هو يسيرٌ إلاّ في بعض المسميات والمصطلحات، أو في آلية التعرف على تلك الدلائل، كما سأبينه في حينه.

الفرع الأول : دليل الخلق

يقوم هذا الدليل على إشكالية مفادها: مَنْ خَلَق؟ و"مَنْ" اسم استفهام نسأل به عن الفاعل دون غيره، أيْ مَنْ هو فاعل فِعْلَ الخلْق، كل الخلق بأفلاكه وأفنانه ودوابه، وقد استعمل الباحثون في العقيدة أسماء متعددة لهذا الدليل، منها: اسم"دليل الاختراع " الذي استعمله ابن رشد، واسم"دليل الحدوث"[3] ، وأمّا اسم "دليل الخلق " فهو مصطلح قرآني ، ذكره الله تعالى في عديد الآيات المحكمة من القرآن الحكيم، منها :

- قوله: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ ﴾[4].
- وقوله أيضا :﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾[1].

1- سورة الجاثية : الآية 3 . 4 .

2- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ،المصدر السابق ، ج7، ص 264 .

3- الإيمان بالله وأثره في الحياة ، عبد المجيد النجار ، دار الغرب الإسلامي:بيروت-لبنان ، ط1 ، 1997، ص 74 .

4- سورة الشورى : الآية 29 .

- وقوله كذلك :﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[2] .

وفي هذه الآيات أسئلة إنكارية عمَنْ خلق هذا الكون، طرحها القرآن لكل نفسٍ متدبِرةٍ ناظرةٍ لعلها تعقل وجود ربها، هل خُلقتْ من غير شيء فوُجدتْ بلا خالق؟ وذلك في الفساد ظاهر، لأنّ تعلّق الخلقِ بالخالق من ضرورة الأمر، فلا بد له من خالق، فإذا أنكرتْ الإله الخالق، ولم تُجِزْ أن تُوجَدْ بغير خالق، هل هي خالقةٌ لنفسها؟ وذلك في الفساد أظهر، لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟ وكيف يجوز أن يكون موصوفًا بالقدرة؟ وإذا بطل الوجهان معًا قامت الحجة عليها بأن لها خالقا فلتؤمن به، وقد ذكر الله الدليل بصيغة الاستفهام الإنكاري ليتبين أن هذه القضية التي اُسْتُدِل بها فطرية بديهية مستقرة في النفوس، لا يمكن إنكارها، فلا يمكن لصحيح الفطرة أن يدّعِي وجود حادث بدون محدث أحدثه، ولا يمكنه أن يقول: هو أحدث نفسه.

وهذا الكون الذي نعيش فيه؛ لِوُجوده احتماليْن هما:

- إما أن يكون له فاعل:والفاعل إما من جنس المفعول (الطبيعة)، أو ليس من جنس المفعول (الله).
- وإمّا: ألا يكون له فاعل.

ونعلم بداهةً وضرورةً أن الفعل لابد له من فاعل، و عليه يبطل الاحتمال الثاني، الذي يقول أن الكون الذي نعيش فيه وجد بغير فاعل، فنحن نشاهد المفعولات(المخلوقات)، ونعلم ضرورة أنها لابد لها من فاعل. فالقول بمفعول له فعل ولا فاعل له باطل بشهادة الحس والعقل، والفاعل الذي أوجد هذا الكون بعد أن لم يكن؛ لا يجوز أن يكون من جنس المخلوقات كلها؛ لأنه في حال كونه من جنس أي نوع منها، ستنطبق عليه جميع أحكام المفعولات، وأهمها أنها تقبل العدم، ووُجِدَتْ بعد أن لم تكن، و مجرد احتمال قبول الفاعل للعدم يبطل كون هذا الفاعل خالقًا، ولقد أدرك هذا كلّه البدوي البسيط الذي عاش يرعى إبله في فلوات الصحراء فكان يقول: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدل أنها صنعت بتدبير العزيز العليم؟!

كما أقر بها قادة العلوم التجريبية وأساطينها في واقعنا المعاصر، وعبروا عنها بقانون السببية، ومنهم أخذ مصطفى محمود التسمية، التي خالف بها تلك التسميات لدليل الخلق، لأن باقي التسميات تعطي تصوراً وميولاً لجهة عن أخرى، فاسم الاختراع والحدوث يُتَصَوّر منهما فعل الإيجاد والسبق لله

1- سورة الطور : الآية 35 ، 36 .

2- سورة إبراهيم : الآية 10 .

تعالى،وهذا ما يُسْقِطُ جدلية السؤال:مَنْ خلق؟ ومنه أعطى تسمية يصرّ عليها وهي"دليل السببية"، فقد أَرْجع الجدلية من خالق ومخلوق إلى سبب و مُسَبِّبٍ.

فقدم مصطفى محمود دليل السببية، بأنه ليس لشيء من الممكنات أن يحدث بنفسه من غير شيء، ولا أن يستقلّ بإحداث شيء، لأنه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئًا لا يملكه، ومفسرا ذلك على لسان صديقه الملحد في حواره معه فيقول:" قال لي ساخرا: أنتم تقولون: إنّ الله موجود، وعمدة براهينكم هو قانون"السببية" الذي يَنُصّ على أنّ لكل صنعة صانعا، ولكل خَلْق خالقا، ولكل وجود مُوجِد، النسيج يدل على النسّاج، والرسم يدل على الرسّام...والكون بهذا المنطق أبلغ دليل على الإله القدير الذي خَلَقَهُ"[1]، ويقول أيضا في كتاب آخر:"إنّ القول بسببٍ أول للوجود، يقتضي أنْ يكون هذا السبب واجب الوجود في ذاته، وليس معتمداً ولا محتاجاً لغيره لكي يُوجَدَ، أمّا أنْ يكون السبب في حاجة إلى سبب فإنّ هذا يجعله واحداً من حلقات السببية، ولا يجعل منه، وهما: سببا أولا"[2].

ومن خلال قراءة متأنية لدليل الخلق(السببية) نجده يقوم على برهانيْن جوهرييْن، يجب إثباتهما،وهما: مخلوقية الكون—التناقص الحراري للكون.

في الحقيقة لم يُرَكِزْ مصطفى محمود على برهان مخلوقية الكون بقدر تركيزه على التناقص الحراري للكون، لأنه يرى برهنة الثاني ستجرّ إلى برهنة الأول تلقائيا.

أولا: مخلوقية الكون

يتضمن معنى المخلوقية إذا ما اتصف به موجود من الموجودات، أنّ ذلك الموجود حادث بعد عدم، غير قديم أزلي[3]، ومنه لا تُثْبَت مخلوقية الكون إلاّ ببطلان قدمه وأزليته، وهذا ما سهر كثير من علمائنا عليه أجيالا وأجيالا، لأنّ القول بقدم الكون مدخل أساسي لجحود الوجود الإلهي فيصبح الكون سبباً أولاً لا يحتاج إلى مَنْ يُوجِده. فاجتهدوا في رده.

ومحاولة مصطفى محمود في رد أزلية الكون وقدمه، تنطلق من الألفاظ ومدلولاتها، والقضية بأكملها قائمة على التنظير، ولا تخضع إلى الواقع والحس، فيقول:"أما القول بأزلية الوجود لأنّ العدم معدوم والوجود موجود، فهو جدل لفظي لا يقوم إلاّ على اللعب بالألفاظ"[4]، ويرى أنّ العدم لا يساوي المحو المطلق، ففكرة العدم المطلق فرضية مثل فرضية الصفر الرياضي، فلا يصح الخلط بين الافتراض والواقع،

1- حوار مع صديقي الملحد ، مصطفى محمود ، المصدر السابق ،ص5 .

2- رحلتي من الشك إلى الإيمان ، مصطفى محمود ، المصدر السابق ، ص8 .

3- الإيمان بالله وأثره في الحياة ، عبد المجيد النجار ، المصدر السابق ،ص 74 – 75 .

4- رحلتي من الشك إلى الإيمان ، مصطفى محمود ، المصدر السابق ، ص16 .

وإذا وُجد اختلاف في الألفاظ والأدلة، نرجع إلى الأدلة العقلية الأولى التي تقوم على البداهة والضرورة، اللتان هما مبدآن فطريان عند كل بني البشر، وهما محلّ اتفاق بينهم جميعا؛ والسببية من أهم هذه الأدلة العقلية الأولى لأنّ كل العقول بجميع مستوياتها تتفق على أنّ لكل حادث سبب، فليس من العقل ولا المنطق القول بالوجود من دون سبب؛ ومن خلال الحواس نرى هذا الكون أمامنا هو موجود فعليا فينا وبيننا، ونحن جزء لا يتجزأ منه، فلابد لهذا الوجود القابع بيننا مِنْ مُوجِد وسببٍ أولٍ لوجوده، ألاَ وهو الله ﷻ[1]، أَرَأَيْتَ عندما يُنْهِي الرسام المبدع لوحةً-أخذتْ منه الجهد والوقت- دون أن يَسِمَهَا بوسم يكون له خاصة دون سواه؟! محال حُدُوث هذا، فكل رسام يضع في أسفل زاوية من لوحته إمضاءه مع حرفين من اسمه، لا تباهياً باسمه أو حباً في شهرة، بل لِيَدُلَّ ذلك
على ملكه لتلك اللوحة الفنية. ولله المثل الأعلى من قبل ومن بعد، فهو سبحانه جعل في كل زاوية من هذا الكون الفسيح أَمارةً وعلامةً تُنْبِأُ أنه الخالق والمصور والمبدئ والمبدع ﷻ. فهذا المثال كان ضربه ضروريا لتقريب المعنى وإجلاء المضمون المتوخى، ليتبين لنا مِمَا سبق أن المراد بدليل الآفاق:هو تلك الآيات الكونية التي هي مناط الاستدلال العقلي على وجود الإله[2]، وعلى أن خالقها هو الرب المعبود وحده، وعلى ما له من حكمة ورحمة وقدرة[3].

ثانيا: التناقص الحراري للكون

ينصّ القانون الثاني للحرارة الديناميكية على أنه عندما يُوضع جسمان، أحدهما ساخن والآخر بارد، في نظام مغلق، فإن الحرارة تنتقل من الجسم الساخن إلى البارد حتى يصلا إلى نفس درجة الحرارة، بتطبيق هذا القانون على الكون، باعتباره نظامًا مغلقًا، نجد أن الحرارة تنتقل من الأجسام الساخنة إلى الباردة، وفرق الحرارة بين الأجسام يقل، ولو كان الكون أزليًا بلا بداية، وعمره لا نهائي، لقل هذا الفرق حتى أصبحت كل الأجسام على الكون في نفس درجة الحرارة، فلا يوجد بارد وساخن، وتوقفت كل التفاعلات الكيميائية؛ إلا أننا نجد الانتقال الحراري ما زال موجودًا، وما زالت النجوم ملتهبة، والجبال ثلجية، مما يثبت أن للكون بداية[4].

1- المصدر نفسه ، بتصرف ، ص16 .

2- تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي المرجع السابق ،ج1 ، ص4033 .

3- تفسير سورة البقرة، محمد بن صالح بن عثيمين ، دار ابن الجوزي:الدمام-السعودية ،ج2 ، ص360 .

4- الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان ، وحيد الدين خان ، تعريب : ظفر الإسلام خان، تحقيق : عبد الصبور شاهين ، مكتبة الرسالة:بيروت-لبنان ، ط1، 1974، ص54 .

ولكن قوانين الديناميكة الحرارية تدل على أنّ مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا، وأنها سائرة حتما إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق، ويومئذ تنعدم الطاقة، وتستحيل الحياة...ويشير القانون الثاني للديناميكة الحرارية إلى أن للكون وللزمان بداية، ولو كان الكون أزليًا لكان التبادل الحراري قد تم وتوقف في تلك الأحقاب الطويلة الممتدة، وبالتالي لا تصبح في الكون أجسام حارة كالشمس وبقية النجوم، وأخرى باردة كالكواكب والأقمار وغيرها، أي لبردت النجوم وصارت بدرجة حرارة الصقيع، وانتهى كل شيء في الكون، وهذا لم يحدث لحد الآن، مما يقطع الشك باليقين على أنّ أصل الكون أو أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة ، فهو إذاً حادث من الأحداث له مُحْدِث[1].

وقد استوفى مصطفى محمود هذا القانون حقه من الشرح والتبين، لأنه يرى فيه دليلا مفحما لمن يقولون بأزلية الكون، فيقول مُلَخصاً له:"ويقرر هذا القانون أنّ الحرارة تنتقل من الساخن إلى البارد...من الحرارة الأعلى إلى الحرارة الأدنى حتى يتعادل المستويان، فيتوقف التبادل الحراري، ولو كان الكون أبديا أزليا بدون ابتداء لكان التبادل الحراري قد توقف في تلك الآباد الطويلة المتاحة، وبالتالي لتوقفت كل صور الحياة، ولبردت النجوم وصارت بدرجة حرارة الصقيع، وانتهى كل شيء؛ إنّ هذا القانون هو ذاته دليل على أنّ الكون كان له بدء"[2].

والذي يبدو أنّ دليل الخلق من جهة نظر مصطفى محمود،كان جيدا في توصيف ماهية الكون، بإعطائه حجمه الهائل الذي هو عليه، وتَصَوَّرَ بدايةً له، وكذلك تعمقه في بسط قوانين علمية على رأسها قانون الديناميكة الحرارية؛ لكنه بالمقابل أهمل أجزاء مهمة في صلب هذا الدليل على غرار مخلوقية الكون التي لم يعطها حقها من الذكر، وأيضا دليل حدوث الأعراض، الذي كان ولا يزال عمدة الأدلة عند علمائنا القدامى، وحتى المتأخرين في ردهم على المخالفين، وهو من الأهمية بمكان لأنّ به أثبتوا أنّ للكون صفات ملازمة له كالحركة، والحرارة، والتوسع...تجعل منه حادثا.

وقد يكون سبب قلة اهتمام به، ما يحمله هذا الدليل في ثناياه من تنظير فلسفي، بعيد نوعا ما عن مجال تخصصه، الذي يقوم التجريب والتحليل التجريبي، بحكم قربه من علوم المادة ومختبراتها. وأيضا لأنّ المخلوقات تُعبِّر مِن ذاتها على خالقها دون حاجة لكثرة تنظير، بل تحتاج منّا إلى قليل تدبر وتركيز، فالله ﷻ له آيات تملأ الأرض والسماء، ولكننا غافلون عنها، ومن الإعجاز الإلهي أن آيات الله لا تنتهي،

1- الله يتجلى في عصر العلم ، نخبة من العلماء الامريكين ، ترجمة : الدمرداش عبد المجيد سرحان ، تعليق : محمد جمال الدين الفندي، دار القلم:بيروت-لبنان ، دط ، ص 12 .

2- رحلتي من الشك إلى الإيمان ، مصطفى محمود ، المصدر السابق ، ص17 .

فإذا مَشيْتَ في الطريق فهناك آيات، وإذا صعدت الجبل فهناك آيات، وإذا نزلت قاع البحر وجدت آيات، وإذا صعدت إلى السماء كانت هناك أكثر من آية، وإذا نزلت إلى باطن الأرض
فهناك آيات وآيات، هناك آية في تلك الشجرة الصغيرة التي تراها تَنْبُتُ في سطح الجبل، ساقها هشة لينة ربما لا تتحمل قبضة يدك، ومع ذلك فقد فَتَتَتِ الصخر ونبتت فيه واستطاعت الشجرة الرقيقة الرفيعة أن تمتد وتضرب في باطن الجبل وتحصل على الغذاء، وتتعجب أنت كيف يمكن أن يحدث ذلك، مع انك لو أردت أن تضع ثقبا في سطح الجبل لاحتجت إلى آلات حادة وقوى كثيرة، وتعرف أن الله ﷻ الذي خلقها قد ألان لها الصخر فنبتت فيه، وألان لجذورها صخور الجبل فامتدت حتى وصلت إلى المصدر الذي يعطيها الغذاء؛ هذه الآيات لا تحتاج إلى بحث ولا إلى ميكروسكوب، ولكنها تحتاج إلى التأمل[1].

الفرع الثاني : دليل النظام

ومن أوضح الأدلة على وجود الله وأيسرها فهمًا بالنسبة للجميع، دليل النظام لأنه يعتمد على قاعدة﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ ﴾[2]، ولأنه ينطلق بنا ضمن الآيات الكونية ليوصلنا إلى أن الذي نظم الكون وربط أجزاءه، بحيث يكمل بعضها بعضًا، وقدر كل شيء فيه تقديرًا، هو الله الواحد الأحد؛ والنظام في الأشياء هو تركيبها على مقادير و كيفيات محددة، والائتلاف بينها في علاقات جارية على سنن ثابتة منتظمة وِفق تقدير مسبق، وهو في التعبير القرآني: القَدَر والتقدير، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[3] ، فقدر الأشياء وقدّرها، معناه:"أن يجعلها على مقدار مخصوص، ووجه مخصوص، حسبما اقتضت الحكمة"[4]. وقال تعالى:﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ ﴾[5] ،أي: خلل ونقص وإذا انتفى النقص من كل وجه. ، صارت حسنة كاملة، متناسبة من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعها، وما فيها من الشمس والقمر والكواكب النيرات، الثوابت منهن والسيارات. ما ترى أي اضطراب في القواعد والسنن التي تجري عليها موجودات الكون[6]. ويذكر مصطفى محمود هذا الدليل بقوله:"والكون كله جدول من القوانين المنضبطة الصريحة التي لا غش فيها ولا خداع...إن

1- الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى ، محمد متولي الشعراوي ،المقال السابق .
2- سورة النمل : الآية 88 .
3- سورة القمر : الآية 49 .
4- الإيمان بالله وأثره في الحياة ،عبد المجيد النجار ، المصدر السابق ، ص87 ،88 .
5- سورة الملك : الآية ،3.
6- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمان السعدي ، المرجع السابق ، ص1857 .

الفوضى هي فعلنا نحن، وهي النتيجة المترتبة على حريتنا، أما العالم فهو بالغ الذروة في الانضباط والنظام"[1] ويرى في هذا النظام الموجود في الكون هو تمثيل صريح لصفة العدل الإلهي فيقول أيضا:"وبمقتضى ما نرى حولنا من انضباط القوانين في المادة والفضاء والسماوات، يكون استنتاجنا للعدل الإلهي استنتاجا سليما يعطي الصفة لموصوفها...وكل البيّنات تحت أيدينا تقوم لتؤكد صفة العدل الإلهي والنظام والحكمة والتدبير"[2] في معرض توصيفه لهذا الدليل يسرد كثير من الحقائق العجيبة في كل من:الفلك ومجراته وأجرامه، وفي الحيوانات وسلوكاتها المبهرة، في النبات وحياته المستمرة من سكون. وللاستشهاد سأذكر لكل واحد أمثلة منها:

أولا: مثال الفلك

إن النجوم المنتشرة في السماء بأعدادها الهائلة تلك توصّلنا بالوسائل الحديثة إلى ضبط حركتها، ومعرفة جل مساراتها منذ خروجها إلى أفولها عنا، وهذه الحركة دقيقة يمكن حسابها؛ و قال مصطفى محمود عن الفلك وحساب عرضه وانتظامه:" فالكون عرضه 15 مليار سنة ضوئية، وهناك فرق بين السنة الضوئية، والسنة الزمنية، فالأخيرة مقياس للزمن، أمّا الأولى فهي وحدة مسافة، فالثانية الضوئية وهي أصغر أجزاء هذه الوحدة، تساوي ثلاثمائة ألف(300.000) كيلومتر، ومنه سنقوم بعملية جداء كما يلي:

$300.000\times60\times60\times24\times30\times12$ سنحصل على رقم 3 وعن يمينه 14 صفر، فهذا طول سنة ضوئية واحدة فقط، وبضربه في 15 مليار ينتج رقم وعن يمينه 24 صفر، فهذا الرقم المهول والمذهل هو عرض الكون؟! إذا كانت سعة الكون بهذه الضخامة والاتساع، فكيف يحافظ على نظامه ؟! وجواب ذلك أعجب مِن سابقه:

حيث أنّ في الكون قوتين هائلتين(قوة تمدد الانفجار الأول)و(قوة الجاذبية) هما متساويتين في الشدة، فإذا نَقُصَتْ إحداهما ولو قليلا عن أختها، انهار الكون على نفسه، واختلّ نظامه[3].

ثانيا: مثال الحيوان

يتساءل الواحد منا عن كيف يمكن أن تتوزع الوظائف في خلية من ألوف النحل؟ وكيف يمكن أن يشترك الكل في نشاط معقد ودقيق دون خطأ يقعون فيه؟! يبدأ نظام النحل مِن تلك الجدران الجميلة المقسّمة إلى ألوف الغرف السداسية البديعة ذات الهندسة المحكمة، حيث تضع الملكة بيضها كل بيضة في غرفة، ويرعى جيش النحل العامل هذا البيض حتى يفقص إلى يرقات، فيطعمه بالعسل حتى يتحول

1- رحلتي من الشك إلى الإيمان ، مصطفى محمود ، المصدر السابق ، ص49 ، 50 .

2- المصدر نفسه ، ص 60 .

3- حلقة اللغز الفلكي : برنامج العلم والإيمان ، الموسم الثالث ، 1991،تاريخ التصفح:9جوان2019 .

إلى عذارى، فيغطيه بالحرير ويغلق عليه غُرُفاته حتى يستوي عوده، ويتحل إلى نحل بالغ، فيخرج ليشارك في نشاط الخلية، وثمّة غرفات خاصة لخزْن العسل والشمع، وغرفات خاصة واسعة لإيواء الأميرات بنات الملكة، مَنْ أعطاها هذا النظام الدقيق والمحكم؟! وسوف تدهش حينما تعلم أنّ لغتها هي الرقص،بالإشارة، واللفتة، والحركة يتكلّم النحل، مَنْ علّم كل واحدة منها تلك الحركات، ولا معلِّم ولا مدرسة، إنّه بديع صُنع الله ﷻ.

ثالثا: مثال النبات

والأشجار الصحراوية التي تجعل لبذورها أجنحة تطير بها أميالا بعيدة بحثا عن فرص مواتية للإنبات في وهاد رملية جديدية[1]. وأنواع النبات مهيأ لمآربه من حلو وحامض، وحار وبارد، وحبوب وثمار وأزهار، ما لا يحصيه ولا يعلمه إلا الله، مختلف ألوانه، مختلف أحجامه، مختلف طعمه، مختلف ثماره، فكيف لا تختلف الأشجار وثمارها ببعض، فمثلا نجد شجرة برتقال بثمار التفاح، أو غصنا من شجرة رمان في شجرة موز، رغم أنها بجانب بعض في المزرعة، وعلى أرض واحدة، وتسقى بماء واحد، هذا تدبير الله تعالى لن تجد فيه خللا ولا عبثاً، وهل رأيتَ المختبرات الطبية داخل الشجرة، فهي مسؤولة عن تصفية الغذاء الصاعد مع الماء، فتحتفظ بما تحتاجه، وتطرح كل ما هو ضار، أو سام، أو ملوث.

وزاد مصطفى محمود لهذا الدليل جانبا دفاعيا، حيث يرد به عن شبهة الصدفة وما تعلق بها؛ إذ تقول الشبهة:أن كل هذا الكون بمخلوقاته جميعها محض مصادفة؟ فنجد وقوفه في وجهها ورده عليها واضحا جليا من خلال برنامجه"العلم والإيمان"في حلقة بعنوان: "الصانع الأعمى". وملخص ما قاله في ذلك، أنّ أصحاب هذا القول هم الطبيعيون أو العَلمانيون الذين يعتبرون أن الطبيعة هي التي تتطور، وبالتجربة وصلتْ لما هي عليه الآن، بالصدفة البحتة، وهم الذين إذا سألتهم كيف لهذه الصدفة–التي هي مرادف للعشوائية– أنْ تنتج هذا النظام الدقيق في كل صنوف المخلوقات؟ فلن تجد منهم رداً[2]، وقد استفاض في ذكر كثير من الأمثلة للنظام البديع للكون. وحسبنا ما ذكرنا منها، على سبيل التمثيل لا الحصر.

وقد أجاد به مصطفى محمود في عرضه لهذا الدليل، من خلال كتاباته واجتهاداته الشاهدة على أنّه إنسان يبحث عن الحقيقة دون ملل أو تهاون، يرفض الإتباع الأعمى دون اقتناع قلبيٍّ عميق. وستظل مؤلفاته الفكرية وحلقاته التليفزيونية ومناظراته ومناقشاته علامة بارزة في تاريخ الفكر العربي والإسلامي المعاصر، ويبقى هو القيمة والقدوة والرمز المضيء الذي أفنى حياته باحثا ومنقبا ومجتهدا، على مدى

1– رحلتي من الشك إلى الإيمان ، مصطفى محمود ، المصدر السابق ، ص8 .

2– حلقة الصانع الأعمى: برنامج العلم والإيمان ، الموسم الثالث ، 1991، تاريخ النشر:16جانفي2014.

ثلاثين عاما من المعاناة والشك والنفي والإثبات بحثا عن الله، إلا أنه أغفل-في حدود اطلاعي- مظاهر هذا النظام على الكون بطريقة أكاديمية مرتبة، حيث اهتم بالأمثلة وتبْيّنها وبسطها لعموم الناس بأسلوب يصل إليهم بسلاسة ويسر، وسأحاول هنا ذكر تلك المظاهر التي جاء بها، وفق ترتيبٍ معتمدٍ عند غيره من الباحثين. ومِن أهم مظاهر النظام في الكون مايلي:

أولا : النظام في التركيب

حيث أثبت العلم الحديث أن كل الموجودات لها تركيب محدد ومضبوط من ذرات، التي تتكون بدورها من شحنات كهربائية موجبة وأخرى سالبة، تنتظم بمقادير معينة، فتنتظم معها سائر الموجودات.ومثالها النظام الأمني الدفاعي للجسم، وهو تركيب عجيب مِن خطوط دفاعية متتالية، حتى إذا اخترقت الميكروبات خطاً تقع في خط دفاعي ثاني وهكذا، لهذا نظّم الله تعالى تركيبها فجعلها دورةً موازيةً للدورة الدموية تسمى بـ"الدورة اللمفاوية"، وسر تركيبها على هذا الشكل العجيب، هو أنّ الجراثيم تستطيع اكتشاف تركيبة أي خلية ثابتة لا تتغير، لأنها تتكيّف مع مناعتها فتَقْتلها بسهولة عند الهجوم الثاني عليها، أمّا الخلايا اللمفاوية فمتغيرة ليس ثابتة، وبهذا استحقتْ هذه الخلايا أنْ تكونَ حامية حِمى الجسم بجدارة واستحقاق[1].

ثانيا : النظام في الحركة

إن كل شيء في هذا الكون له حركته ومساره، وما حركة الشمس والأرض والقمر والنجوم والليل والنهار إلا دليل على هذا. قال تعالى:﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[2]، وطبعا كل هذه الحركات التي تقع في الكون هي حركات منتظمة في أنساقها وسرعتها ومساراتها، لا يختل منها شيء ولا يضطرب.

وذكر مصطفى محمود هنا حركة الجزيئات كمثال على هذا النظام في الحركة، حيث قارن بين جزيئات الماء والرمل، عندما نُفْرِغ وعاءين أحدهما مليء بالماء والآخر بالرمل، فنلاحظ تَكَوُّم الرمل (جزيئاته)، وانبساط الماء وعدم تَكَوّمه، وهذا بديهي معروف، ولكن السبب مجهول، ولمعرفته قمنا بإحضار هزّاز كهربائي ووضعناه أسفل كومة الرمل الموضوعة فوق الطاولة، لرأينا كيف أنّ الرمل يقوم بنفس حركة الماء عند تفريغه من الإناء. وهذا يبين لنا سبب تكوّمِ جزيئات الرمل، وهو أنّ حركة

1- حلقة الدم الأبيض : برنامج العلم والإيمان ، تاريخ النشر:16ديسمبر2011 .

2- سورة يس : الآيات 38،39،40.

جزيئات الرمل بطيئة جدا مقارنة بجزيئات الماء. ومِن هنا أثبتَ علماء الفيزياء أنّ لكل ذرة في الكون حركةً تختلف عن حركة غيرها من الذرات الأخرى[1].

ثالثا : النظام في التوازن

ونقصد بالتوازن: علاقة التفاعل بين الموجودات الكونية فيما بينها، التي يحفظها نظام دقيق، وعلى سبيل المثال فإن المسافات الفاصلة بين الكواكب، هي التي تحفظ توازنها وتحدد مواصفات بقائها، وأيضا المسافة بين الأرض والشمس هي التي تحدد قابليتها للحياة، فإنه لا يمكن أن تقترب احدهما من الأخرى، حفاظا على هذا النظام المتوازن[2]. وعليه بما أن العالم منظم بحسب المشاهدات الحسية والوقائع التجريبية، وبما أنّ كل منظّم يحتاج إلى منظّم بالبداهة العقلية دائما، إذا فالعالم يحتاج إلى الخالق المنظّم، وبذلك يثبت المطلوب، وهو وجود الله ﷻ. وكمال صفاته، وعظمتها.

الفرع الثالث : دليل العناية

يصطلح عليه مصطفى محمود تسمية دليل التسخير والتوافق، لأن هذا الدليل يقوم على تسخير كل ما في الكون لتلبية مطالب الإنسان حفاظا على حياته وتنميتها، فأنت ترى الليل ليستريح فيه، والنهار ليسعى فيه بعد راحة الليل، وترى الأمطار تنزل بقدر حاجة الأرض التي يزرع فيها ويسكنها، فلا تغرقه سيولها إلا نادرا. وهذا التوافق لم يكن صدفة، بل جاء من قبل فاعل قاصد لذلك مريد له، وآيات التسخير في القرآن الكريم كثيرة، تثبت أنّ الله مدبرٌ لكل هذا مِنْ باب كرامة وعناية الإنسان، وتسهيلا له في عمارة الأرض وعبادة الله تعالى. ومنها:

قال تعالى:﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

وقال أيضا:﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴾[4].

وقال تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[5].

1- حلقة حركة الجزيئات : برنامج العلم والإيمان .

2- عبد المجيد النجار ، المصدر السابق ، ص 90،91 .

3 سورة الجاثية : الآية 13.

4 سورة إبراهيم : الآية 32.

5 سورة الحج : الآية 65.

وقال أيضا:﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾[1].

ومضمون هذه الآيات هو شامل لأجرام السماوات والأرض، ولما أودع الله فيهما من الشمس والقمر والكواكب والثوابت والسيارات وأنواع الحيوانات وأصناف الأشجار والثمرات وأجناس المعادن، وغير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم، ومصالح ما هو من ضروراته[2].

وقد أبرز مصطفى محمود هذا التسخير الإلهي وهذه العناية الربانية بالإنسان في قوله:"ثم خلقت لك الأشياء، إني خالقها كلها، وإني أخلفتك عليهم ، وإنها أمانة عندك"[3]. ويضيف شارحا لقول الله تعالى: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي:تسخير أشياء يعلمها الإنسان كالشمس والقمر والرياح، والحصان والجَمَل والحمار للركوب، وأشياء أخرى قد لا يعلمها كالبكتيريا والالكترونات صغيرة الحجم، وغيرهما مما خفي علينا تسخيره وقد يكتشف مستقبلاً. وربنا خلق كل شيء لنفسه بمعنى شاهدا عليه، ولغيره كالإنسان، ماعدا الإنسان لم يخلقه لأحد خَلَقَه له، فيقول الله للإنسان في الحديث القدسي:"خلقتك لي، وخلقت الأشياء كلها لك، فلا تنشغل بما هو لك عن ما أنت له، فليس بيني وبينك بيْنٌ"[4]، معناه لا تنشغل بغير الله تعالى، أما كل ما سواه هو في خدمتك وقتما شئت، وأينما شئت بأمر الله ﷻ. ويسمي مصطفى محمود كل هذا بـ:"حاكمية الإنسان" التي هي منّة وهبة من الله ﷻ؛ يعني لم يركب الإنسان الجَمَلَ لشطارته وحيلته، بل لأنّ الخالق ﷻ هو مَنْ أمر الإبل،كل الإبل لتنصاع للإنسان. وزادت حاكمية الإنسان إلى خارج الكرة الأرضية، حيث تم اكتشاف طاقة هائلة بعد إرسال المركبة الفضائية لكوكب"أورانوس"إذ وصلتْ إليه بسرعة تصل إلى تسعين ألف كيلومتر في

1 سورة الإسراء : الآية 12.

2 تيسير عبد الرحمان السعدي ،تيسير الكريم الرحمان في تفسير الكلام المنان ، المرجع السابق ، ص 936 .

3 رأيت الله ، مصطفى محمود ، المصدر السابق ،ص 20،21 .

4- قال أحمد شاكر هذا حديث لا يصح ، وليس له أثر ، يغني عن هذا الأثر ، الحديث الصحيح الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ! تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى ، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً ، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ) رواه الترمذي (2466) وحسنه ابن مفلح في "الآداب الشرعية" (262/3) ، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (284/16) والشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (1359) .

الساعة من دون أي طاقة تقليدية معروفة(بنزين، كيروزان، طاقة نووية...) فتوصل العلماء بعد البحث المكثف إلى ما يسمى(gravity field energ) وبالعربي هو"طاقة حقل الجاذبية" والتي تتنافس عليه كبرى الدول في العالم اليوم[1].

ومما يُفهم من كلامه هو أنّ الإنسان قد بُسِط له في العلم أولا ليصل إلى كل هذا، ثمّ أصبح حاكماً ومُتَحكِّماً في كل المخلوقات ثانيا، فكثير من الناس ينبهر بما وصل إليه الإنسان من صناعات متطورة، ولكن أقول من الذي سخر له هذا الكون، من خلق له الأشجار وهداه لإخراج الخشب منها، ومن هداه لتنقيب الأرض وإخراج كنوزها منها لاستخدامها في تلك الصناعات؛ من الذي أوجد البترول الذي يستخرج منه الغاز بل من الذي جعل خاصية الإحراق والحرارة في النار، وحتى المكيفات والثلاجات مَن الذي خلق مادة صنعها، ومَن جعل مِن الكهرباء خاصية للتبريد إنّه الله ﷻ هو الذي سخر كل هذا الكون لخدمة الإنسان، هو الذي أنزل الحديد والألمنيوم والنحاس والذهب والفضة والزئبق وغيرها من المعادن، التي يقول العلماء إنها تنزل من السماء مع المطر أو نتيجة لانفجارات النجوم والشهب والنيازك مكونة لهذه المعادن، حتى الاتصالات توجد ذبذبات في الجو توصل الصوت من مكان لآخر ، فهذا خَلْقُ الله وتدبيره، أردتُ من هذه الكلمات أنْ أقول أنَّ أي اكتشاف أو صناعة توصَّل إليها الإنسان في هذا العصر هي مِنْ تسخير الله ﷻ .

1- حلقة: التسخير الإلهي ، برنامج العلم والإيمان ، من رابط: الصفحة الرسمية للدكتور مصطفى محمود،تاريخ النشر:23فيفري2015.

المبحث الثالث :

أثر دلائل الآفاق في ترسيخ العقيدة

المطلب الأول : أثر دلائل الآفاق على عقيدة المخالفين

الفرع الأول : أثر التّفكّر في الكون

الفرع الثاني : أثر مواجهة الشّبهات

المطلب الثاني : أثر دلائل الآفاق على عقيدة المسلمين

الفرع الأول : أثر دلائل الآفاق على عقيدة الفرد

الفرع الثاني : أثر دلائل الآفاق على عقيدة المجتمع

المبحث الثالث : أثر دلائل الآفاق في ترسيخ العقيدة

الكون وما ذرأ الله تعالى فيه من مخلوقاتٍ، مصدرٌ من مصادر العلم والمعرفة، ينهل منه الإنسان فينتفع بما عرفه، سواءً في الجانب العلمي أو الجانب الإيماني، فهناك صلةٌ وثيقةٌ تربط الإنسان بالكون، وتجعله ينسجم معه، فالكون كتابٌ مفتوحٌ بين يديه يَقْرأ ويشاهد الإبداع الرباني والإتقان الإلهي، وذلك من خلال الدلائل المبثوثة في خلقه، ونظامه المتناسق وكذا تسخيره له، وهذا فعلا ما جعل مِنْ كل نفس بشرية سليمة الفطرة، ترجع إلى العقيدة الصحيحة، التي لا جحود فيها، ولا إنكار، ولا عبثية فيها، ولا إهمال.

إنّ الآفاق الكونية تترك أثرا بالغاً على كل النفوس مؤمنِها، وكافرِها، مع اختلاف نوع الأثر باختلاف الدليل، فلدليل الخَلْق آثاره، ولدليل النّظام آثاره، وآثار أخرى لدليل العناية.

وكل هذه الآثار سأستنتجها من فكر مصطفى محمود حسبما ما يراه، وسآخذها بالتحليل والنقاش كل منها على حِدَه.

ولهذا الأثر وَقْع مختلفٌ باختلاف النفس التي استقبلته، فلا يمكن بحال أنْ يكون لدلائل الآفاق نفْسُ الأثر على المسلمين الموحدين، ومثله على الكافرين غير المسلمين، فإننا نجد لكل من الفئتين فَهْمٌ وتَلَقي مغاير لكل دليل من دلائل الآفاق، وذلك ما سأحاول شرحه.

المطلب الأول : أثر دلائل الآفاق على عقيدة المخالفين

لقد تركت هذه الدلائل التي فصَّلْنا محتواها(دليل الخلق، دليل النّظام، دليل العناية)-دون شك- أثرا بليغا على أولئك الذين انطمستْ أبصارهم، وأسماعهم، واستنْكفتْ أفهامهم عن الحقيقة، فكان أول غيث التأثير، هو حتمية التفكر والتدبر في خَلْقِ الله ﷻ، وبعدها دحض كل الشبهات التي جاؤوا بها، حتى لا يبقى عندهم على الله حجة يوم يلقونه.

إنّ أولئك المخالفين لعقيدة الإسلام الحقّة ، أذكرُ منهم فئتيْن هما :

- إمّا جاحد للدين والإله بالكلية(ملحد) – وإمّا صاحب دين محرّف أو وثني .

فكلاهما عقيدته باطلة زائفة، تحتاج إلى إعادة نظر فيها مِن طرف المعْتقِد لها نفسه، إذن كيف السبيل للوصول إلى وجدانهما، وروحيهما ، فنَنْفضُ عنهما غبار الكفر والجحود.

الفرع الأول : أثر التفكر في الكون

إنّ التفكر خاصية عقلية تُوصِل صاحبها إذا توافرتْ الرؤية الصائبة–وهذا ما يفقده هؤلاء–إلى العقيدة السليمة، ومنه فالفكر الصحيح مطيّة للعقيدة الصحيحة؛ إذن فدعوة المخالفين إلى التدبر في الكون، هي دعوة إلى التفكر السليم الموصِل إلى الإيمان بالله تعالى.

قال تعالى:﴿ أَوَ لَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾[1]، وقال تعالى أيضا: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾[2] ،إن هاته الآيات جاءت لتخاطب أولئك الجاحدين لإلهية الله تعالى والعابدين معه غيره؛ أنّ الله هو المستقل بالخلق، المستبد بالتدبير[3]. وإنّ هذا الكون الواسع الحسيّ المشاهَد أمامهم، الذي لا قِبَل لهم بنكرانه ، دعوة صريحة للتفكر والتأمل والتدبر من حيث:

أولا: في خَلْق الكون (دليل الخَلْق)

إنّ كل ما في هذا الكون من إبداع رباني، وإتقان إلهي في الصناعة، يدعو كل منكر وجاحد إلى ترك المكابرة، والنظر بفطرة صافية سليمة إلى:

1– الشمس والقمر

ألاَ يحتاج هذان إلى تفكر؟! مَنْ أعطى للشمس نورها الشديد ولونها الأصفر؟! وكيف تبعث بحرارة تحرق الوجوه والجلود؟! والقمر الذي ينير رغم ظلمة الليل، لكنه أقل منها نورا، وهو أقل منها حجما وإحراقا، مَنْ أعطاه وأعطاها ذلك، أمْ فعلاَه مِنْ نفسيهما؟!

2– الرياح

التي لا تقوى على حمْل الأتربة حيناً، فتكون نسائم ناعمة، والتي تقتلع الأشجار والبيوت، وتدمر كل ما مرّتْ به حيناً آخر، فتكون أعاصير وزوابع، مَنْ أمرها بهذا، أمْ فعلته مِنْ مزاجها الصافي مرّةً، والمعكّر مرّةً أخرى؟!

3– الحيوان

1– سورة الأنبياء : الآية 30، 31 .

2– سورة فصلت : الآية 8 ،11 .

3– تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ،المصدر السابق ، ج 5 ، ص 338 .

هذا المخلوق الذي تسمونه غير عاقل، ولا مميّز، فكيف نفسر تَصَرُّف:

أ- القطة العجماء: التي تتبرز، ثم لا تنصرف حتى تغطي برازها بالتراب.

ب- والفقمة المهندسة: التي تبني السدود لتحمي جحورها من مياه الأنهار والوديان.

ج-والبعوضة: التي تجعل لبيضها الذي تضعه في المستنقعات أكياسا ليطفو على سطح الماء ولا يغرق.

د- والديدان والزواحف: التي تتلون بلون البيئة للتنكر والتخفي.

هـ- والحشرة المضيئة في الليل: التي تجذب الفرائس بنورها لتأكلها. من أين جاءت تلك المخلوقات العجماء بعلمها ودستورها؟![1]

4- النبات

وهو ليس بالحيوان، وليس له إدراك الحيوان:

أ- نبت الصبّار: مَنْ علّمه اختزان الماء في أوراقه المكتنزة، ليواجه بها جفاف الصحاري وشح المطر.

ب-اختلاف الأقوات والثمار: نرى مختلف الألوان والطعوم والروائح، منها ما يعيش الإنسان عليها، وتخرج من الأرض أيضا أعشاب وحشائش متنوعة تعيش عليها سائر الحيوانات[2]، وكلها الأولى والثانية تسقى بماء واحد، فمَنْ جعل الماء الواحد ينزل على الأرض الواحدة، فتخرج نباتات مختلفة!؟[3]

إنّ مِنْ كل هذه الآيات الكونية ساطعة البرهان، قوية الحجة، يقف كل عَلْماني[4] ليُعِيد التفكير ألف مرّة ومرّة، فنجد كثيراً من علمائهم أذهله الكون بعد تدبُّره والتفكّر فيه، فراجع نفسه وعاد.

-يقول لورد كيلفي[5]:"إذا فكرتَ تفكيرا عميقا فإنّ العلوم سوف تضطرُكَ إلى الاعتقاد بوجود الله"[6]. - ويقول جون كليفلاند:"إنّ ملاحظة هذا الكون ملاحظة تقوم على الخبرة والذكاء،وتدبر ما نعرفه عنه من جميع النواحي، سوف يقودنا إلى التسليم بوجود ثلاثة عوالم من الحقائق، وهي:

العالم المادي(المادة)، والعالم الفكري(العقل)، والعالم الروحي(الروح)"[7].

1- رأيت الله، مصطفى محمود ، المصدر السابق ، ص 6 .

2- مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، دار الفكر:بيروت-لبنان ، ط1 : 1981 ، ج3 ، ص476 .

3- رأيت الله، مصطفى محمود ، المصدر السابق ، ص 7، 8 .

4- العَلْمانية: هي المبدأ القائم على فصل الحكومة والسلطة السياسية عن السلطة الدينية (وهي الفصل بين الدين والحياة) نشأت بصفتها رد فعل للتصرفات التعسفية التي ارتكبتها الكنيسة.، وتعود نشأتها إلى القرن السابع عشر مع الفيلسوف الهولندي " باروخ سبينوزا ". موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، إشراف عَلوي السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت ،ج1،ص245.

5- لورد كليفي– جون كليفلاند ، انظر تعريفهما في:الله يتجلى في عصر العلم،نخبة من العلماء الامريكين،المصدر السابق،ص27 .

6- الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الامريكين، المصدر السابق ، ص 27.

7- الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الامريكين، المصدر السابق ، ص 27 .

ومِنْ أمثلة هؤلاء الكثير، الذين أرْجعهم إلى جادة الصواب دليل الخلق، وذلك لقوته، وشدة أثره في نفوس الملاحدة والكافرين الجاحدين وجود الله تعالى؛ فتتغير عقائدهم من الإلحاد وعبادة الذوات المادية(مِنْ كواكب، ونجوم، وحياة مادية مترفة) إلى عبادة رب كل الذوات ﷻ.

ثانيا : في النّظام الإلهي للكون(دليل النّظام)

إنّ التوازن والنّظام الموجودَيْن في الكون أدهشا علماء الرياضيات والفيزياء والفلك الملاحدة، قبل الموحِدين، الذين بلغ منهم التفكر والتدبر في الكون مَبْلَغه، وهم كُثُر، حيث مع قيمتهم العلمية المرموقة، التي زودتهم بالذهن المميِّز، والعقل المرَجِّح، إلّا أنّ لسان حالهم كان يقول:" فالعلم يقدم صورة عن الكون بالغة الإحكام والانضباط...كل شيء من ورقة الشجر إلى جناح الفراش، إلى ذرة الرمل فيها تناسق ونظام وجمال، الكون كله مبني وِفْق هندسة وقوانين دقيقة"[1].

فيقول غيرُ واحدٍ منهم واصفا هذا النظام والتوازن، معبرا عن ملاءمة الأرض للحياة البشرية:" فالأرض كرة معلقة في الفضاء، تدور حول نفسها، فيكون في ذلك تتابع الليل والنهار، وهي تسبح حول الشمس مرة كل عام، فيكون في ذلك تتابع الفصول...ويحيط بالأرض غلاف غازي يشتمل على الغازات اللازمة للحياة، تحُول دون وصول ملايين الشُّهُب القاتلة إلينا"[2]، ويذكر بعدها أنه لو نقُص شيء من هذه الخصائص والمميزات للأرض لأصبحت غير صالحة للحياة.

أمّا عالِم الوراثة الانجليزي جون وليام لكونس، فيستشهد على هذا التوازن والنظام بشكل غاية في الروعة، حيث يبين أنّ الإنسان إذا حاول ولو محاولة بسيطة لتعديل سيرورة هذا التناغم، إلاّ ووقعت الكارثة، فيذكر حادثة وقعت في استراليا، عندما حاول بعض السكان إدخال نوع من الأرانب البرية لم يكن معروفا في بلادهم، فتكاثر بطريقة غزيرة لم يستطع أحد السيطرة عليها، فبعدما جاؤوا بعشرين زوجا، أصبحت الأرانب بالملايين في غضون سنتين، وسبب ذلك عجيب، إذ أنّ كل المفترسات الاسترالية لم تقتل من هذا الأرنب ولا واحد، لأنها لم تعرف وجوده من قبل فكانت تخشاه؛ فيعود نفس العَالِم معلقا، إنّ هذه الحادثة أكبر دليل على أنّ لكل قطعة في هذا الكون، مهما كانت صغيرة، نظامها وتوازنها التي تحافظ عليه منذ ملايين السنين، فيقول بالحرف:"فالتوازن الذي خلقه الله في سائر مظاهر الطبيعة يعتبر من النوع الدقيق، وقد تؤدي أية محاولة للتدخل فيه إلى أضرار

1- رحلتي من الشك إلى الإيمان ، مصطفى محمود ، المصدر السابق ، ص 11 .

2- الله يتجلى في عصر العلم ، نخبة من العلماء الامريكين، المصدر السابق ، ص 12 .

بالغة، لذلك ينبغي أنْ يتريث الناس قبل أنْ يُقْدِموا على أية محاولة لتعديل موازين الطبيعة، فذكاء الإنسان أقل من أنْ يحيط بحكمة الخالق"[1]؛ لقد تَفَكَّر هذا العَالِم العَلْماني بعمق وروية في دليل النظام، فنتج عنده مِنَ العقيدة رسوخا وثبوتا، ما تجزم معها أنه مؤمن موحد بالله ﷻ.

مما ذكرناه يَتَبَيَّنُ جليا، أنّ مِن أهم آثار دلائل الآفاق على غير المؤمنين هو التفكر، فما دلائل الآفاق إلاّ صعقة كهرباء مما يضعُها الطبيب على صدر المريض المتوقف قلبه، ليُعِيد إحياء الجسد كله. ولله المثل الأعلى، فهو قد بسط دلائله في الآفاق، وبعدها قال: ألاَ تتفكرون؟

الفرع الثاني : أثر مواجهة الشُّبُهَات

إنّ مما لاشك فيه، أنّ إعراض الملاحدة والجاحدين عن العقيدة الصحيحة والطريق السليم إلاّ لتراكم الشُّبَه-كالظلمات بعضها فوق بعض- على أدمغتهم وعقولهم، فأصبحت من الرّان أسمك. فجاءت دلائل الآفاق تَرُدُّ عنهم شبههم رداً جميلا، ولعل من أبرز هذه الشبهات، شبهتيْ أزلية الكون والصدفة.

أولا : رد شبهة أزلية الكون بدليل الخَلْق

بعدما عرّفْتُ دليل الخلق وعَرَفْتُه، فكيف يكون هذا الدليل ردّا على شبهة من أقدم الشبه، حيث أنّه قد ردّ عليها الكثير من علمائنا القدامى منهم كابن تيمية، والغزالي، والمتأخرين كالشعراوي، ووحيد الدين خان...وغيرهم. وفي هذا الفرع سأفصل في ردّ مصطفى محمود الذي أفرد كتابا ممتعا لردّ كثير من شبه الملاحدة، وسماه "حوار مع صديقي الملحد".

1- مضمون الشبهة

الكون لا يحتاج إلى خالق لأنّ مادته أزلية، أي وُجدت من القديم.

2- الرّدّ

إنّ هذه الشبهة نظرية قائمة على الجدل الفلسفي، والذي خاض فيه بعض العلماء، وعلى رأسهم أبي حامد الغزالي-كما ذكرتُ ذلك في سابق الفروع-ولكن هذا الرّدّ سيكون علمياً قائماً على ما توصل إليه علماء، فقد كانت فكرة أزلية الكون تملأ أذهانهم، حتى جاءت الاكتشافات، والتجارب العلمية التي تُعْتَبَر عنصرا من عناصر دليل الخلق، التي كانت مخفية عن الأنظار والأفهام.ومن هذه الردود أذكر مايلي:

1- الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الامريكين، المصدر السابق ، ص56 .

أ– أول اكتشاف ضرب هذه الشبهة في مقتل، تمثل في ظاهرة الإشعاع، التي تقول أنّ الشمس وجميع النجوم الأخرى مشتعلة وتبعث إشعاعات؛ إذن لابد من وجود بداية لها، فلو كانت أزلية دون بداية لنفذ وقودها منذ مليارات السنين.

ب– قانون السببية القائل: أنّ لكل سبب مُسَبِب، ولكل حَدَث مُحْدِث، وقد فصلْنا فيه سابقا، وهو مِن بين أهم الردود التي ركز عليها مصطفى محمود.

ج– القانون الثاني للديناميكة الحرارية، وهذا أيضا ذكره بالتفصيل في رده على شبهة أزلية الكون.

د– تحوّل المادة إلى طاقة بأنواعها(حرارية، حركية، نووية، مغنطيسية...)، هذا التحول للمادة أثبته العلم الحديث منذ القرنيْن الماضييْن، على يد اينشتاين[1] وبنجامين فرانكلين[2]...وغيرهما. وهذا التحول يثبت أنّ الوجود صفة عارضة للمادة، قد تنفك عنها، ليست ذاتية لا تنفصل عنها كما كان مشهورا، وهذا يستلزم أن يكون لوجود المادة بداية. أي: المادة محدثة وليست أزلية، وإنه من كل هذه الاكتشافات يتجلى لنا خلق اللهﷻ الذي يبهر به كل العقول في كل مرة، ويرد به أي شبهة مهما كانت، ومن أين جاءت؟ وما رد الشبه إلا أثر ظاهر لهذا الدليل وسواه من الأدلة[3].

ثانيا: رد شبهة الصدفة بدليلا النظام والعناية

ويأتينا الدليل الآخر من أدلة الآفاق، وهو دليل النظام والعناية ليرد شبهة من أخطر الشبه،وهي شبهة الصدفة.

1– مضمون الشبهة

إن هذا الكون خلق مصادفة من غير خالق، حيث يقول أنصار هذه الشبهة:"إن تفسير الكون بوساطة قانون الصدفة ليس كلاما فارغا، بل هو كما يعتقد سير جيمس جينز ينطبق على قوانين الصدفة الرياضية المحضة(الاحتمالات)"[4]. ولتوضيح هذه القوانين استمع إلى قول هيكسلي[5]:"لو جَلَسَتْ ستة من القردة على آلات كاتبة، وظلت تضرب على حروفها لملايين السنين فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخيرة التي كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير! فكذلك كان الكون الموجود

1 ألبرت اينشتاين، علم فيزياء ألماني (1879–1955)مكتشف الطاقة النووية .

2 بنجامين فرانكلين ،علم فيزياء امريكي (1706–1790)أول مكتشف للكهرباء .

3– حوار مع صديقي الملحد ، مصطفى محمود ، المصدر السابق ، ص 5 ،8 .

4– الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، المصدر السابق ،ص85 .

5– هو الكاتب الملحد صاحب كتاب " الإنسان يقوم وحده "، انظر : تعريفه الإسلام يتحدى ، المرجع السابق ،ص85 .

الآن نتيجة لعمليات عمياء، ظلت تدور في (المادة) لبلايين السنين"[1].

2- الرد

لعل أبلغ رد يمكن أن يُفْحِمَ أصحاب هذه الشبهة، هو دليل النظام والعناية لما يحمل في ثناياه من انسجام وتنسيق شديديْن بين كل مكونات الكون وعناصره، وقد ذكر مصطفى محمود في برنامج "العلم والإيمان" الأمثلة الوافية الشافية. ونذكر ما مضمونه:

أ- إنّ قانون الصدفة الرياضي يحمل في مضمونه زواله وعدم منطقيته، حيث يقوم على تكرار المحاولة لإيجاد أي تنظيم، ومثاله: لو تناولت بطاقات مرقمة من1إلى10، وخلطتها فاحتمال سحبك لبطاقة الرقم1من المحاولة الأولى يكون واحد من عشر محاولات، أما إذا أردت سحب بطاقات(1،2) بهذا الترتيب فيكون الاحتمال واحد من مائة محاولة، وكلما زادت البطاقات المسحوبة مع بعض، زاد عدد المحاولات[2]. ومنه فلنتأمل الآن في أمر هذا الكون، فلو كان كل هذا بالصدفة، فكم من الزمن استغرق تكوينه، بناءا على قانون الصدفة الرياضي هذا ؟![3]

ب- إنَّ جزيء البروتين يتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الآمينية، وأخطر ما في هذه العملية هو الطريقة التي تختلط بها هذه السلاسل بعضها مع بعض، فإنها لو اجتمعت في صورة غير صحيحة، أصبحت سما قاتلا بدلا من أن تكون جرعة للحياة والقوة، حيث يقول أحد أهم علماء الكيمياء ذكره وحيد الدين خان:"لا يمكن تجميع هذه السلاسل في ما يقارب10ضرب48صورة وطريقة، فمستحيل أن تجتمع هذه السلاسل بمحض الصدفة"[4].

إنَّ العلم وتجاربه في جميع المجالات(الفيزياء، الميكانيك، الرياضيات، الكيمياء..)أثبتَ بالدلائل القاطعة أنَّ هذا النظام الموجود في الكون، من المحال أن يكون وليد الصدفة والعشوائية العمياء، بل هو صنع الله الذي أتقن كل شيء، فلم يترك الله لا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأعطاها نظامها الذي تسير عليه[5]، وهو قائم بعنايته على كل شيء في الدنيا من الذرة إلى الفلك، فهو القيوم الذي يقيم كل شيء حيا، ويمنح الحياة للعدم، وكل شيء يقوم بالله، النجوم في أفلاكها تمسكها قوانين الله، فهي

1- الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، المصدر السابق ، المصدر السابق ،ص85 .

2- المصدر نفسه ،ص86 ، بتصرف .

3- المصدر نفسه ،ص86 .

4- المصدر نفسه ،ص87 .

5- حلقة : هل نشأ الكون بالصدفة ؟ ،برنامج العلم والإيمان ،تاريخ النشر:28فيفري2014.

تقوم به، والأشجار ترفع قامتها به، وبمدده من النور الشمس والري والتربة[1].

وفي ختام هذا الفرع يلخص مصطفى محمود كل ما جئتُ به، بقوله:"الذين أنكروا الله كانت لهم في كل زمان حجة... والكلام على أنَّه في مبدأ الكون كانت المادة ولا شيء غير المادة، هو فرض آخر وكلام عن غيب، فلم يكن أحد من الفلاسفة الماديين موجودا في تلك اللحظة، التي هي مبدأ الكون...وإنما هي شطحة غيبية من تلك الشطحات التي يعيبونها علينا"[2].

المطلب الثاني : أثر دلائل الآفاق على عقيدة المسلمين

إنّ الدِّين الإسلامي بِنَاءٌ متكامل يَشمل جميع حياة المسلم منذ ولادته وحتى مماته، ثم ما يَصير إليه بعد موته، وهذا البناء الضخم يقوم على أساس متين، هو العقيدة الإسلامية التي تتخذ مِن وحدانية الخالق ﷻ مُنطلَقًا لها؛ كما قال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3]، لهذا أخذتِ العقيدة أهمية كبرى في حياة المسلم، وجب على علمائنا السهر لترسيخها، وتثبيت أوتادها في قلوب المؤمنين المُوَحِدين، فاستعملوا لذلك وسائل عديدة، ومن أهمها دلائل الآفاق، وآيات الله الكونية وما لها مِنْ أثر على النفوس المسلمة.

الفرع الأول : أثر دلائل الآفاق على عقيدة الفرد المسلم

يحمل كل دليل من دلائل الآفاق آثارا على حياة المسلم وروحه، فيطبعها بطابع عام تتميز به عن غيرها من العالمين، ومن هذه الآثار حسب كل دليل ما يلي:

أولا: دليل الخلق

1- تحرر الإنسان من الخوف على الحياة

ذلك لأنها تُقرر أنَّ الخالق هو الله تعالى، وأنَّ الأجل بيده سبحانه، وأنَّ هذا الأجل محدود لا يزيد ولا ينقص. قال تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[4]. ومن هذا التحرر تتولّد عند المسلم شجاعة لا نظير لها، فتجده لا يخشى موتا، ولا قتالا في سبيل الله، ولا دفاعا عن عرض، وهذا ما ترجمه النبي ﷺ والصحابة ﷺ بجهادهم ضد مشركي قريش. ومثال هذا الأثر هو حمزة ابن عبد المطلب عم النبي ﷺ لما قال في لحظة إسلامه ودخوله في الدين الحق:"يا محمد

1- الله ، مصطفى محمود ، دار أخبار اليوم:القاهرة-مصر ،2001م ،ص 10 ،11 بتصرف .

2- الله ، مصطفى محمود ، المصدر السابق، ص 86، 87 .

3- سورة الأنعام : الآية 162 .

4- سورة المنافقون : الآية 11.

يا ابن أخي عندما أجوب الصحراء بالليل أدرك أن الله أكبر مِن أنْ يُوضع بين أربعة جدران"، فحمزة ﷺ استشعر أثر دليل الخلق في نفسه، حتى عرفه بالله الواحد الأحد خالق الصحراء وما حَوَتْهُ من كائنات[1].

2- تحرر الإنسان من الخوف على الرزق

إنَّ الإنْسان حريص على رزقه حرصه على حياته، أما المسلم قد تحرَّرَ من هذا الخوف لأنَّه آمَن بأنَّ الرِّزق بيد الله تعالى، وأنَّه لا يملك أحد في الدنيا كلِّها، أنْ ينقص من رزق مخلوق شيء، فالله تعالى يقول:﴿ نَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينِ﴾[2]، ويقول أيضا: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [3]،ويقول كذلك :﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[4]، فنجد المؤمن ليس بالبخيل، وليس ممن يعرف شحاً. ومثاله: ما جاء في الحديث النبوي الشريف: عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر ابن الخطاب ﷺ يقول:أمرنا رسول الله ﷺ أنْ نتصدّق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلتُ: اليوم أسبق أبا بكر إنْ سبقته يوما، قال: فجئتُ بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ:«ما أبقيتَ لأهلك؟»، قلتُ، مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال:«يا أبا بكر، ما أبقيتَ لأهلك؟»، قال أبقيتُ لهم الله ورسوله، قلتُ: والله لا أسبقه إلى شيء أبدا[5].ومن هذا الحديث تظهر مسارعة أصحاب النبي ﷺ إلى البذل والعطاء، فأحدهما أعطى نصف ماله وهذا كثير، أما الآخر فقدّم كل ماله، فكلاهما يُعبّر بصدق على عدم خوف على الرزق، لعلمهما المسبق بأنَّ الرَّازق هو اللهُ.

وقد دمج مصطفى محمود هذيْن الأثريْن الأول والثاني في أثر واحد، هو تحرير الإنسان من العبودية لغير الله، فهي عقيدة التحرر المطلق من كل ما سوى الله، فيرى أنَّ كل شيء تخاف منه صِرتَ له عبدا من دون الله تعالى، فإذا خفت من لقمة العيش فأنت عبدٌ لها، وإذا خفت من الموت فأنت عبد له، وهكذا. لكنّ المؤمن الحق هو مَنْ يُمْعِن النظر في الكون، كيف أنَّ مخلوقاتِه تحيا دون أدنى خوف من الموت-رغم أنَّ بعضها يعيش مع مفتَرِسِهِ في رقعة واحدة- وكيف أنَّها تنْطلق قي هذا الكون الفسيح،

1- "أسدُ الله وسيِّد الشُّهداء حمزة بن عبدالمطلب رضيَ الله عنه "، إبراهيم بن محمد الحقيل (5-9-2007)، شبكة الألوكة تاريخ التصفح: 8ماي2019. بتصرّف.

2- سورة الذاريات : الآية 58.

3- سورة هود : الآية 6.

4- سورة الذاريات : الآية 22.

5- سنن الترمذي 3675 ،وقال هذا " حديث حسن صحيح" ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود : ج5 ، 366 .

ورزقها يلاحقها أينما حلّتْ وارتحلت[1]. وحديث عمر ابن الخطاب ﷺ خير شاهد، حيث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا»[2].

ثانيا: دليلا النظام والعناية

1- الطمأنينة والسكينة

إنّ انتظام الكون في قوانين ونواميس لا يحيد عنها، سطّرها له مدبِّره وخالقه، تبعث في النفس المسلمة هدوءً واطمئنانا، ويستقر لديها أنّ الطبيعة لا تتحرك فوضى فتُصيب الإنسان بكوارثها خبط عشواء، أو تفعل ذلك انتقاما منه وتنكيلا به، بل إنّ كل ما يقع فيها هو بتدبير حكيم رحيم، وحينها فقط يطمئن المؤمن، ويعرف أنّ ما في هذه الدنيا، إنّما هو خير وصلاح في جملته، حتى وإنْ بَدَا بعضه شرا في الظاهر، لكن على الحقيقة كله خير[3]؛ حيث قال رسول الله ﷺ:«عجبا لأمر المؤمن إنّ أمره كله خير، وليس ذلك إلاّ للمؤمن، إنْ أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإنْ أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»[4]. فنجد المؤمن مطمئناً بإيمانه وبِذِكْره لرَبه، قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [5]، وقال أيضا :﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[6].

2- العزة والقوة

لاشك أنّ الإنسان يستشعر في نفسه العجز والضعف، إذا ما قارن نفسه بما حوله مِن مخلوقات الكون، فأين هو من الشمس، أو الأرض، أو البحار، أو الجبال؟! فيصيب النفس الوهن والمذلة، ولكنَّ المسلم تعتريه العزة لمعرفته اسم الله العزيز، ويأخذ القوة من اسم الله القوي، فإنّ القوي العزيز يُسخر لعبده، الذي يعرفه حق المعرفة، كل ما في الأرض تودداً له فهو الودود سبحانه، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[7]، وقال أيضا:﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ

1- تأملات في دنيا الله ، مصطفى محمود ،المصدر السابق ، ص 7 إلى 16 ، بتصرف .

2- أخرجه الترمذي ،كتاب الزهد ، باب التوكل على الله ، رقم 2344 ، 573/4 ، وقال حديث حسن .

3- الإيمان بالله وأثره في الحياة ، عبد المجيد النجار، المصدر السابق ، ص170 .

4- صحيح مسلم ،كتاب الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير ، رقم 2999 .

5- سورة الرعد : الآية 28 .

6- سورة يونس : الآية 62 .

7- سورة المنافقون : الآية 8 .

﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾[1]،ولا يخفى أنّ استشعار المسلم للقوة والعزة، يعود عليه بخيرٍ عمليٍّ عميم...إذ يدفعه ذلك إلى المبادرة والفعل والانجاز، فنجده فعّالاً في محيطه، وذلك من أثر دليل النظام والعناية الربانية على نفسيته.

3- صلاح القول والعمل

يقول المثل العربي:"كلّ إناء بما فيه ينضح"، وهذا ينطبق على المسلم الذي يُعْتَبر ظاهره مرآة لباطنه، لأنّ باطنه يملأه التصور النظري، الذي قوامه مراقبة الله تعالى، من خلال نظام حياته،خاصة المسؤولية والجزاء، فيكون جزاء المرء على قدر مسؤوليته، وكذلك عدم ترك أيِّ فعل مِن غير حساب، إمّا عاجلٍ في الدنيا أو آجلٍ في الآخرة، التي بها يوم يسمى يوم الحساب؛ هذا العدل الإلهي هو ما يجعل المسلم صالح القول والعمل، فالله لا يظلم أحدا، فيحاسب كل واحد على قدر فعله وقوله.قال تعالى:﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[2] وقال أيضا :﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴾[3].

أما مضمون أثر دليلَا النظام والعناية على الفرد المسلم عند مصطفى محمود أذكره كما جاء في مجمل ما قاله في بعض كتبه، حيث أنّ المسلم في رأيه قد اجتاز بأقواله وأفعاله الكونيةَ(أيْ أصبح لا يراعي في قوله وفعله المخلوقات جميعا)، بل انتقل إلى المكوّن وجعله نُصْب عينيْه.

ومما قاله:"فأنت صاحب الرؤية الكبرى ترى الله في كل شيء، في الصمت والنطق، تراه لا ستر بينك وبينه"[4]، وقال أيضا:"سنن كونية تعمل وقوانين أزلية تجري في خفاء، وتعمل دائبة على التوازن، حتى يتقوى الضعيف، ويضعف القوي، فلا تطغى قوة هذا على ذاك"[5]، ويضيف قائلا:"الدنيا ملهاة...وهي سائرة إلى مجزرة، فالله في الماضي كان يوقظ خَلْقه بالرسل والأنبياء...واليوم هو يوقظهم بالكوارث والزلازل والأعاصير والسيول"[6]، ومقصده من قول ذلك، أنّ المسلم يتأثر بكل ظاهرة تَحْدُث في الكون، فتغير مِن سلوكياته وأقواله؛ لقد كان يصوّر المسلم بالإنسان الكامل كمالا بشريا ، وقدوته رسول الله ﷺ ، فالمسلم قوي ، كريم معطاء ، هادئ وَقُور ، عزيز النفس ، صالح القول والفعل أبدَا ، فإمّا هكذا أو لا يكون.

1- سورة الزمر : الآية 5 .

2- سورة فصلت : الآية 46 .

3- سورة الجاثية : الآية 15 .

4- رأيت الله ، مصطفى محمود ، المصدر السابق ، ص83 .

5- من أسرار القرآن ، مصطفى محمود ،المصدر السابق، ص15 .

6- تأملات في دنيا الله ، مصطفى محمود ، المصدر السابق ، ص13 .

الفرع الثاني : أثر دلائل الآفاق على عقيدة المجتمع المسلم

إنّ المجتمع تشكله الأفراد، وما تأثُّر الأفراد المسلمين إلاّ ويَنْجَرّ عنه مجتمع مسلم، وضعَتْ دلائل الآفاق أثرها عليه، ومِنْ تلك الآثار مايلي:

أولا: دليل الخلق

1- توحيد الله تعالى

إنّ أول ما يتحقق من أثر لدليل الخلْق على المجتمع المسلم هو توحيد الله ﷻ، إفراده ﷻ بالإلوهية والربوبية، وبالأسماء والصفات، فلا شريك له في الخَلْق، ولا شريك له في تصريف الأمور، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، فالإتقان في خلق الكون دليل على ربوبيته ،فهل مَنْ كان هذا خَلْقه لا يُعْبَد؟! قال تعالى:﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[2]، وقال أيضا ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ﴾ [3]. أي: يحسن ذلك ويليق بي، أن أتخذ غيره، مربيا ومدبرا والله ربُّ كل شيء، فالخَلق كلهم داخلون تحت ربوبيته، منقادون لأمره؟ فتَعَيَن علَيَّ وعلى غيري، أن يتخذ الله ربًّا، ويرضى به، وألاَّ يتعلق بأحد من المربوبين الفقراء العاجزين[4].

2- الوحدة والترابط

إن الجماعة المؤمنة ومَنْ والاها مِن النّاس كيان واحد، حيث بعقيدته الموحَّدة، شكَّل له عقلا جمْعيًّا مشتركا في الفكر والسلوك، فكيف بمجتمع ضرب الله إليه مثلا بأكثر مخلوقاته ترابطا ووحدة، ألاّ يكون مترابطا مُوَحَدا؟! حيث أعطى الله للمسلمين مثلا بمملكة النمل، التي تأتمر بأمر قائدٍ واحد، فتطبقُ جماعة متكاملة مترابطة ، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[5]. وهذه الحشرة اجتماعية جداً، ولقد أشار القرآن أن النمل مخلوق اجتماعي يعيش في مستعمرات، وهو مخلوق متعاون متكاتف يشعر كل

1- سورة الأعراف : الآية 54.

2- سورة الأنعام : الآية 14 .

3- سورة الأنعام : الآية 164 .

4- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمان السعدي ، المرجع السابق ، ص 529 .

5 سورة النمل : الآية 18.

فرد منه بشعور الآخرين، ويظهر ذلك في سلوك النملة وفي إنذار قومها ﴿...يَٰٓأَيُّهَا...﴾، وهذه صيغة نداء مكرّر، يكون للتعبير عن شدّة المبالغة والحرص[1].

3- الوُدُّ والتراحم

إنَّ من بين أهم صفات المجتمع المسلم هي المودة والرحمة، لقول رسول الله ﷺ:«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد،إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[2]، فجعل الرسول ﷺ من تمام الإيمان العمل بمقتضى الأخوة بين المؤمنين من التراحم والتودد والتعاطف، وهذه الصفات ترسّخَت من تَفكُر المسلمين في خلق الله تعالى، فهذا الغراب يرحم أخاه ميتا فيحفر لدفنه، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾[3]؛ فالمسلمون أولى بهذه المشاعر الفياضة من الود والرحمة من هذه الحيوانات،التي هي عبرة لنا معاشر المسلمين، لنستلهم منها الدروس والعِظات، ونضرب هنا مثالا يُبَيّن المودة والمحبة بين عناصر المجتمع المسلم على الرغم من الخلاف، حيث كان الإمام أحمد ابن حنبل[4] يختلف مع الإمام الشافعي[5] في كثير من المسائل الفقهية، غير أن هذا لا يؤثر على أُخُوَتهما، وتستمر الزيارات والصلة بينهما، وفي هذا يقول الشافعي :

قالوا: يزورك أحمد وتزوره — قلت الفضائل لا تفارق منزله

إنْ زارني فبفضله أو زُرْتُه — فلفضله، فالفضل في الحالين له.

لا يَهُمّنا مِن هذا المثال خلاف الإمامَيْن الجليلَيْن، بل ما يَهُمنا هو صفة الودّ والتراحم التي لم تنقطع بينهما، لأنها اعتقادٌ راسخٌ ثابت، مردّه أحقِيتنا كمسلمين لهذه الصفات الحميدة مِن غيرنا[6].

4- وحدة الشعور

1- مقال الإعجاز العلمي في سورة النمل ، عادل الصعدي ، مركز البحوث ، موقع جامعة الإيمان ، يوم:27-01-2013 .

2- من حديث النعمان ابن بشير ﷺ ، صحيح البخاري رقم 6011 ، وصحيح مسلم رقم 2586 ، واللفظ له .

3- سورة المائدة : الآية 31.

4- هو احمد ابن حنبل أصله من البصرة ، ولد سنة 164 هـ في بغداد ، حفظ القرآن وبرع في علوم الدين ، والتقى بأبي يوسف صاحب أبي حنيفة ، الشافعي ،عبد الرزاق ابن همام ، وقد فتن بفتنة خلق القرآن ، فكان صابرا محتسبا حتى توفي 241 هـ ببغداد

5- هو محمد ابن إدريس الشافعي لقرشي المكي ، ولد 150 هـ بغزة فلسطين ، عرف محمد ابن الحسن صاحب أبي حنيفة فتلقى عنه الفقه ، رحل إلى فسطاط مصر ، فأصبح إماما بها ، فألف كتابه "الرسالة " في علم أصول الفقه وغيره ، توفي 204هـ.

6- أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع،نعيم يوسف، تقديم:فؤاد الهجرسي،دار المنارة:المنصورة-مصر ، ط1 ، 2001 ، ص 100.

هذه الصفة تنبع من أثر دليل الخلق، حيث أنَّ الله خلق كل البشر مِنْ نسل رجل واحد، وفي خلق هذه الأعداد الهائلة من لدن آدم عليه السلام إلى يوم الناس هذا، آية أثَّرَتْ على المسلمين أيما أثرٍ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[1]، فنرى المسلمين يحملهم هذا الشعور المشترك مع كل الناس، إلى معاملة إنسانية غاية في الروعة مع أسرى الحرب، ومع المضطهدين من كل الأجناس وكل الملل؛ وهذا ما جسده نبي الله ﷺ مع أسرى بدر حيث قال لهم- وهو قادر عليهم-:«اذهبوا فأنتم الطلقاء». وتبليغ رسالة الإسلام الحقَّة هو ذروة سنام هذا الشعور، فأمة الإسلام هي أمة التبليغ عن الله تعالى لإخراج الناس من شر الظلمات، إلى خير الإسلام ودعوته. ومثاله هو تلك الثلة من المسلمين المهاجرين إلى يثرب، التي حوّلتها إلى مدينة عامِرة، بعدما كانت فِرَقاً متناحرةً متقاتلة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[2].

ثانيا: دليلا النظام والعناية

1- التنظيم والانسجام

لا ريب أنّ المجتمع المسلم منظم في أحكامه وقوانينه، منسجم في علاقاته، فالصلاة، والزكاة، والحج، والصوم نظام مضبوط، كيف لا؟ وواضع أحكامها هو الله تعالى؛ والزواج هو انسجام بين الرجل والمرأة المسلميْن، وأيضا في الزكاة انسجام عجيب بين الغني والفقير. ومردّ كل ذلك إلى نظام هذا الكون. فالصلاة والصوم مثلا يرتبط نظامهما بالنظام الدقيق للشمس والقمر، فلا تقام الصلاة إلا بشروق الشمس أو غروبها أو زوالها، وكذا الصوم مرتبط برؤية القمر وهلاله، قال رسول الله ﷺ :

« صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غُمَّ عليكم فاقدروا له ثلاثين »[3] .

2- التكافل الاجتماعي

وهو قيام الجزء الناقص من المجتمع على مَنْ يُكَمِّله، فالغني يكون سنداً للفقير، والقوي بنعمة الله عليه يُكْمل ضعف الضعيف، والصحيح يسند العليل وهكذا، حتى يَظْهر على المجتمع التوازن العام. ولن نجد التكافل الاجتماعي إلا في المجتمع المسلم، المتَشبِّعة أفراده بالترابط والمودة والمحبة أكثر من مجتمعات أخرى غيره، ومنبع هذه الصفة بعد تعاليم الدين الإسلامي، ما يشاهده المسلمون في حيوات كثير من

1- سورة النساء : الآية 1.

2- سورة الحجرات : الآية 13.

3- رواه مسلم في الصيام ، باب وجوب صوم رمضان لرأيت الهلال والفطر لرؤيته ، رقم 1081 .

المخلوقات البرية، فقطعان الذئاب والأسود ونظام حياتها خير دليل وبرهان على هذا التكافل، فهي تصطاد جماعات لا فرادى، ذكرانا وإناثا، صغارا وأشبالا، من أجل أنْ يأكل الجميع القوي والضعيف، والرئيس والمرؤوس. فنجد فئات محرومة في المجتمع تولى الدين حمايتها، كاليتامى والأيامى فذكرها القرآن بالاسم للتكفل بها. قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1]، وقال أيضا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[2]، ويقول أيضا: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [3]، وفي هذه الآيات حَضٌّ مِن الله تعالى على الأخذ بيد هاته الفئات الهشة في المجتمع المسلم، وهذا قمة التكافل الاجتماعي على الإطلاق. ومِن أمثلته ما فعله النبي ﷺ مع أهل الصُّفَّة، حيث أقْدَم رسول الله ﷺ إلى آخر مسجده، وجعل فيه صُفَّةً أيْ ظُلَّة، وأسكن فيها فقراء المسلمين، مَن ليس له أهل ولا مكان يأوي إليه، مِمَن هاجر مِن أهل مكة إلى المدينة النبوية المنورة[4].

3- إتقان العمل

ألم تر إلى الطيور كيف تبني أعشاشها؟! أمْ لم ترى كيف القوارض تنظم غرفا في جحورها؟! هذه دلائل كثيرة تركت أثرها على المسلمين، ومنها استمدوا إتقانهم للعمل وتفانيهم فيه، وذلك طبعا بعد أمر النبي ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله يحب إذا عمِل أحدكم عملا أنْ يتقنه »[5]، وهذا الحديث مُوَجه لأرباب المهن، ولأصحاب الصناعات، ولكل إنسان مسلم ألبسه الله ﷻ عملا، عليه أنْ يتقنه و يؤديه على أكْمل وجه، لينال محبة الله أولا، ثم محبة الناس أجمعين، ومَن أحبَهُ الناسُ أحبُوا دينه أيضا.

وقد ذكر مصطفى محمود بعض هذه الآثار لدلائل الآفاق على المجتمع المسلم، مجملة و دون كثير تفصيل، ومقارناً في الوقت ذاته بين المجتمع المسلم المنظم المتناسق، والمجتمع الشيوعي المتشنج، حيث

1- سورة البقرة : الآية 220.

2- سورة النساء : الآية 10.

3- سورة النور : الآية 32.

4- مقال أهل الصفّة فقراء المهاجرين ، أكْرم ضياء العمري ، موقع الإسلام ، يوم: 07-09-2015م .

5- أخرجه الطبراني ، وصححه الألباني في الصحيحة ، المرجع السابق ، مج 3 ، رقم 1113 .

يقول:"وشتان بين هذا التكوين الاجتماعي المتشنج، وبين التكوين المتناسق للمجتمع المسلم، الذي يعمل فيه الكل مؤمنين بأنّ العمل عبادة، وأنّ الإنفاق تعامل شخصي مع الله، وأنّ الصدقة تقع أولا في يد الله قبل أنْ تقع في يد الفقير، وأنّ علاج المرضى عبادة...وأنّ المعروف لا يضيع والعمل الصالح لا يذهب سدى...وأنّ في السماء إلهاً عادلا عدله لا يتخلف ، وكل هذا يُثْمِر سكينة ورضا وراحة قلب تساوي الدنيا وما فيها"[1]؛ وعن وحدة الشعور التي تتجسد–على حد قوله– في مناسك الحج العظيمة بدلالاتها ومضامينها، فيقول:" اختفت الجنسيات...واختفت الأزياء المميزة واختفت اللغات الكل يَلهج بلسان واحد"[2]. ويقول أيضا:"وجميع شعائر ديانتنا ليست طقوسا كهنوتية بالمعنى المعروف، وإنما هي نوع من الأفعال التكاملية التي يتكامل بها الشعور، والتي تسترد بها النفس الموزعة وحدتها"[3].

ومِن كلامه يُفْهم أنّ هذه الصفات التي ذكرناها موجودة، ومُتَضَمَنة في شعائر ديننا الحنيف. وإنّ دينا هذه تعاليمه وأحكامه، وهذه دلائله. هل يعقل أنْ يكون أفيونا للشعوب؟!ويَخْلُص إلى ما مضمونه أنّ المسلمين هم مَن جعلهم دينهم سواسية كأسنان المشط، لا فرق بين طبقة وطبقة، ولا بين فئة وفئة، وليس لغني على فقير، ولا لأبيض على أسود فضل إلاّ بالتقوى، الناس كلهم لآدم وآدم من تراب، هذا الدين نفسه يوجه أتباعه إلى الأخذ بنصيبهم من الدنيا، وهم في طريقهم إلى الآخرة. يقول الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾[4]. فقد ربط الإسلام بين الإيمان والسلوك ربطاً قوياً، ونلاحظ ذلك في نصوص كثيرة مثبتة في الكتاب والسنة، فبينما كان المسلمون الأوائل إذا سمعوا آية فيها تكليف سارعوا إلى تطبيقه، وإذا نزل تحريم لأمر انتهوا عند ذلك من صدق الإيمان وصلابة العقيدة، وقد عرفنا من كتب السيرة في قضية تحريم

الخمر، كيف أسرع المؤمنون إلى إراقة الخمور في شوارع المدينة المنورة؛ وهنا سؤال مهم يطرح نفسه: وهو إذا كان للعقيدة هذا الدور الفعال في توجيه السلوك، فلماذا لا نرى ذلك الأثر في واقع المسلمين الآن؟! إننا نجد البون شاسعاً بين ما يدّعون من عقيدة وبين ما يسلكون ويتصرفون به في المعاملات والسلوك.

1- الإسلام ماهو ، مصطفى محمود ، دد ، دط ، ص23 .

2- المصدر نفسه ، ص27 .

3- المصدر نفسه ، ص34 .

4- سورة القصص : الآية 77 .

خاتمة

خاتمة

الحمد لله الذي لا تَتِم الصالحات إلاّ بِذكْره، ولا تُخْتم الأعمال إلاّ بِشُكْره، فله الحمد أولاً وأخرًا، ها قد أتيتُ إلى تمام هذه الدراسة، التي خرجْتُ منها بهذه الإجابات الوافية، لما طُرِح مِن إشكالات في المقدمة، وبأهم النتائج التي يمكن استخلاصها من هذا الموضوع. وهي كما يلي:

أولا : عرّف مصطفى محمود دلائل الآفاق، بأنها تلك الآيات المنتشرة في الكون الفسيح، التي تُخْبِر بأنّ صانعها هو الله ﷻ. موافِقاً تعريفُه تعريف المفكرين المتأخرين أمثال: محمد متولي الشعراوي، وحيد الدين خان، وعبد المجيد الزنداني.

ثانيا : اعْتَبَرَ مصطفى محمود دلائل الآفاق الثلاثة(دليل الخَلْق، ودليل النّظام، ودليل العناية) مِن أهم دلائل وجود الله تعالى، التي يُجَابَهُ بها الملاحدة اللادِينِيُون، والعَلْمانيون الماديون.

ثالثا : يَعْتَبِرُ مصطفى محمود الاكتشافات العِلْميّة الحديثة مِن أَهَم دلائل الآفاق ، التي كانت غير مرئيّة للناس في وقت مضى ، فكَشَفَها الله ﷻ ليُبَرْهِن هو عن نفسه ﷻ ، أمام هذه الموجة الجارفة مِن الإلحاد في هذا العصر .

رابعا : إنّ دخول كثير مِن الملاحدة في الإسلام، هو مِنْ أثر دلائل الآفاق، حيث لولا تَفَكُّرهم في خَلْق الله تعالى، ودَهْشتهم مِن نظامه الفريد، الذي نَتَكَشَّفُ أسرارَه يوماً بعد يوم، لَمَا اتّجهوا إلى الدين الحنيف إطلاقا.

خامسا : إنّ العلوم التجريبية والطبيعية أَعْطتْ في هذا العصر ردوداً بالجملة على كثير مِنْ شُبَه الملاحدة مثل:(شبهة أزلية الكون، شبهة الصّدفة، شبهة التطور عند داروين)، وهذا هو عَيْن دلائل الآفاق التي تحدَّثْتُ عنها في دراستي.

سادسا : لقد كان أثرُ دلائل الآفاق مزدوجاً ، بتأثيره على المخالفين ، وعلى المسلمين أيضا.

1- المخالفون: دَعتْهم هذه الدلائل إلى إعادة التفكير في مخلوقات الله تعالى، واسْتِبْيَان بديع خلقها.

2- المسلمون: دَعَتْهم أفرادا وجماعات إلى الثقة بالنفس، وبِدِينِ الله الحنيف الذي لا يأتيه الباطل مِنْ بيْن يدَيْه ولا مِنْ خلْفه.

ومِن خلال هذه النتائج، خرجتُ بالتوصيات التالية:

أولا : إنّ مصطفى محمود عَلَم بارز، ومفكر مبدع، كانت جهوده ولازالت تصنع أفكار الناس، فعلى الباحثين إعطاء مزيدٍ مِنَ العناية لتلك الجهود، خاصة برنامجه"العلم والإيمان" الذي يُعدّ موسوعةً فكرية، تحتاج الدراسة والبحث.

ثانيا : موضوع دلائل الآفاق مادةٌ خِصبة للبحث فعلى الدارسين والباحثين على حدٍّ سواء التركيز عليها في أعمالهم القادمة.

ثالثا : إنّ دلائل الآفاق بموضوعها الثريِّ تَصْلح أنْ تكون محلّ أبحاثٍ وتجارب عِلميّة في مختبرات العلوم الطبيعية، لاكتشاف أسرار كثيرٍ مِن العوالم الحيّة المخفية عن أعين الباحثين، فما بالك بعامة الناس.

وفي الختام، أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم، أنْ يجعل بحثي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأنْ يتقبله مني بقبول حسن، لأنَّ ما كان فيه حقًّا فمنه وحده، وما كان خطأ فمِن نفسي ومن الشيطان. وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، أمين.

فهارس عامة

أولا : فهرس الآيات القرآنية

الآية القرآنية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾.	سورة البقرة	02- 03	17
﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ...﴾	سورة البقرة	164	31
﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞ .....﴾	سورة البقرة	220	63
﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ .....﴾	سورة آل عمران	191-190	31
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ .....﴾	سورة النساء	01	62
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ .... ﴾	سورة النساء	10	63
﴿عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ.....﴾	سورة النساء	33	14
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ ..﴾	سورة النساء	59	10
﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ..﴾	سورة النساء	125	15
﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِ...﴾	سورة المائدة	31	61
﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	سورة الأنعام	14	60
﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ...﴾	سورة الأنعام	97.96 -95	13
﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ....﴾	سورة الأنعام	162	56
﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ ﴾	سورة الأنعام	164	60
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ... ﴾	سورة الأعراف	54	60
﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾	سورة يونس	62	58
﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ ... ﴾	سورة يونس	101	32
﴿ ۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا.... ﴾	سورة هود	06	57
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾	سورة الرعد	28	58
﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ.....ۖ﴾	سورة إبراهيم	10	37-32
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ..... ﴾	سورة إبراهيم	32	45
﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ..﴾	سورة النحل	106	23
﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ....﴾	سورة الإسراء	12	46
﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي..... ﴾	سورة الإسراء	85	33

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ....﴾	سورة الكهف	29	24
﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾	سورة الكهف	49	35
﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ....﴾	سورة الكهف	110	16
﴿ۥإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى.....﴾	سورة طه	07	33
﴿أَوَ لَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا ....﴾	سورة الأنبياء	31-30	50
﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ ۖ ....﴾	سورة الحج	65	46
:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	سورة الحج	73	34
﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾	سورة النور	32	63
﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ.....﴾	سورة النمل	18	61
﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ ﴾	سورة النمل	88	41-31
﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾	سورة القصص	77	65
﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ....﴾	سورة الروم	30	15
﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ .....﴾	سورة لقمان	11	32
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ و.....﴾	سورة فاطر	41	34
﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ .....﴾	سورة يس	40-39-38	44
﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ..﴾ .	سورة الزمر	05	59
﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ ....﴾	سورة فصلت	11 - 10 -09 -08	50
﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ.....﴾	سورة فصلت	46	59
﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ....﴾	سورة فصلت	53	31-13-ب
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن....﴾	سورة الشورى	29	36
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ...﴾	سورة الشورى	53-52	17
﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣وَفِي خَلۡقِكُمۡ.....﴾	سورة الجاثية	04 -03	36
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ .....﴾	سورة الجاثية	13	45
﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾	سورة الجاثية	15	59
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ ....﴾	سورة الحجرات	13	62
﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾	سورة الذاريات	21	25
﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾	سورة الذاريات	22	57
﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ .....﴾	سورة الذاريات	56	16

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾	سورة الذاريات	58	57
﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝..... ﴾	سورة الطور	36- 35	37
﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ....﴾	سورة النجم	07	12
﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ.....﴾	سورة القمر	49	41
﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ.....﴾	سورة المنافقون	08	59
﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	سورة المنافقون	11	56
﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ .....﴾	سورة الملك	03	41
﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ....﴾	سورة التكوير	23	12

ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية

بداية الحديث الشريف	الصفحة
[أمرنا رسول الله ﷺ أنْ نتصدّق ، فوافق ذلك مالا عندي...]	57
[إنّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ... خطبة الحاجة]	ب
[إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ! تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى...]	46
[إنّ الله يحب إذا عمِل أحدكم عملا أنْ يتقنه...]	64
[خلقتك لي ، وخلقت الأشياء كلها لك ، فلا تنشغل بما هو لك عن ما أنت له...]	62
[صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته...]	63
[عجبا لأمر المؤمن إنّ أمره كله خير...]	58
[لو أنكم تتوكلون .....]	58
[مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد...]	61
[يا محمد يا ابن أخي ...]	57

ثالثا : فهرس البلدان

البلد	الصفحة
محافظة المنوفية	19
مدينة طنطا	20

رابعا : فهرس المصطلحات

المصطلح	الصفحة
الدلالة	32
العَلْمانية	51
وحدة الوجود الهندية	26
اليوجا	26

خامسا : فهرس الأعلام والشخصيات

اسم العَلَم	الصفحة
أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني	10
إحسان عبد القدوس	21
احمد ابن حنبل	61
اشرف على التهانوي الهندي	09
ألبرت اينشتاين	54
بنجامين فرانكلين	54
ثروت عكاشة	21
جون كليفلاند	51
حسن بن مرزوق حبنكة الميداني	09
زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب	19
عبد الرحمان الإيجي	11
لورد كليفي	51
محمد ابن إدريس الشافعي لقرشي المكي	61
هيكسلي	54
يوسف إدريس	21

سادسا : قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص ، النسخة الالكترونية .

أ- الكتب

1- أصول الدين ، عبد القار البغدادي ، دار الفنون ، اسطنبول ، ط1.

2- الإحكام في أصول الأحكام ،علي بن أبي علي بن محمد الأمدي ،دار الكتاب العربي،ط1،ج1.

3- الإيمان بالله وأثره في الحياة ، عبد المجيد النجار ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1997م ، بيروت ، لبنان .

4- الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان ، وحيد الدين خان ، تعريب : ظفر الإسلام خان ، تحقيق : عبد الصبور شاهين ، مكتبة الرسالة ، ط1، 1974 ، بيروت ، لبنان .

5- الإسلام ماهو ، مصطفى محمود ، دد ، دط .

6- البحر المحيط ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، ج1 ، ص25 ، دار الكتاب العلمية ، ط2، 2003 .

7- الجامع لأحكام القرآن ، محمد القرطبي ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ،2006م ، ج18 .

8- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد جرير الطبري ، تحقيق: عبد الله التركي- عبد السند حسن يمامة ، دار هجر ، ط1: 2001م ، مج 18 .

9- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، تحقيق: علي بن حسن ، عبد العزيز بن إبراهيم .، حمدان ابن محمد الحميدان، دار العاصمة ، الطبعة 2 ، 1999 ،ج1 .

10- جمع الجوامع ، علي بن عبد الكافي السبكي ، دار الكتاب العلمية ، ط2 ، 2003 .

11- حوار مع صديقي الملحد ، مصطفى محمود ، دار المتوسط ، بيروت ، لبنان ، دط .

12- الحكمة في مخلوقات الله ن أبو حامد الغزالي ، تحقيق : محمد رشيد قباني ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1978م .

13- الله ، مصطفى محمود ، دار أخبار اليوم ،2001 ، دط .

14- الله يتجلى في عصر العلم ، نخبة من العلماء الامريكين ، ترجمة : الدمرداش عبد المجيد سرحان، تعليق : محمد جمال الدين الفندي ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، دط .

15- لسان العرب ، محمد جمال الدين ابن منظور ، دار صادر، بيروت ، دط .
16- لغز الموت ، مصطفىَ محمود ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، دط ، 1972م .
17- مجموعة الفتاوى ، تقي الدين أحمد بن تيمية ، تخريج :عامر الجزار ، أنور الباز ، دار الوفاء ، دط ، ج2 .
18- مجموعة الرسائل والمسائل ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، تحقيق: محمد رشيد رضا ، دار التراث ، دط ، مج1 .
19- المواقف في علم الكلام ، عبد الرحمان بن أحمد الايجي ، تحقيق : عبد الرحمان عميرة ، دار الجبل، بيروت، ط1 ، 1997 ، ج1 .
20- من أسرار القرآن ، مصطفى محمود ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط5 .
21- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر .
22- معجم التعريفات،علي بن محمد الجرجاني ،تحقيق :محمد صديق المنشاوي ،دار الفضيلة ، دط .
23- مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1981م ، ج27 .
24- المفردات في القرآن ، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، دط .
25- المصباح المنير،أحمد بن محمد الفيومي، تحقيق : عبد العظيم الشناوي ،دار المعارف ،ط2 .
26- مصطفى محمود مشوار العمر ، محمد رضوان ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2010 م .
27- مصطفى محمود و التصوف ، أحمد كمال الجزار ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، دط، 1999م.
28- مذكرات مصطفى محمود ، السيد الحراني،.تحقيق لغوي: إيمان الدواخلي ، دار أُكتب للنشر ، القاهرة ، مصر ، ط9، 2014 .
29- نهاية الوصول في دراية الأصول ، محمد بن عبد الرحيم الارموي ، تحقيق: صالح سليمان اليوسف، سعد سالم السويح ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية ، ج1 .
30- الفكر الإسلامي الحديث ، محمد المبارك ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، دط .
31- فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق : عبد الرحمان عميرة ،دار الوفاء ، دط ،ج1 .
32- القاموس المحيط ، مجد الدين الفيروز أبادي ، مؤسسة الرسالة ، ط8 ، 2005 ، ج1 .

33- القرآن محاولة لفهم عصري ، مصطفى محمود ، دار الشروق ،بيروت،لبنان ، دط ، 1970م .
34- رأيت الله ، مصطفى محمود ، دار المعارف ، القاهرة ، دط .
35- رحلتي من الشك إلى الإيمان ، مصطفى محمود ، دار المعارف ، مصر ، دط.
36- شرح مختصر المنتهى ، عبد الرحمان الإيجي ، دار الكتب العلمية ، ج1 .
37- تأملات في دنيا الله ، مصطفى محمود ، دد ، دط .
38- تيسير الكريم الرحمان في تفسير الكلام المنان ،عبد الرحمان السعدي ، تقديم : عبد الله بن عقيل، محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق : عبد الرحمان اللويحق ، دار السلام ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط2 ، 2002م .
39- التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا ، حسن عاصي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان،ط1 ، 1983م .
40- تفسير القرآن الكريم .محمد بن صالح بن عثيمين،سورة البقرة ،دار ابن الجوزي ،الدمام ،ج2 .
41- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق : حكمت بن بشير بن ياسين ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ط1 : 2010 ، ج7 .
42- التفكير الفلسفي الإسلامي ، سليمان دنيا ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط1 ،1967م.
43- تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي ، دار أخبار اليوم ، سنة 1991 ، ج1 .
44- التقريب والإرشاد (الصغير) ، محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق: عبد الحميد أبو زيد، مؤسسة الرسالة، ط2 ،ج1.
45- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، دط .
46- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ،عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني ،دار العلم، دمشق ط4 ،1993.

سابعا : قائمة الرسائل والدوريات

1- أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع،نعيم يوسف، تقديم:فؤاد الهجرسي،دار المنارة، المنصورة، مصر، ط1 ، 2001م .

2- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة ، ناصر بن عبد الكريم العقل ، دار الوطن ، ط1، 1991 .

3- عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي ، عثمان جمعة ضميرية ، مراجعة : ناصر الراشد ، مكتبة السوادي ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1988م .

ثامنا: قائمة المواقع والمقالات الالكترونية

1- الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى . محمد متولي الشعراوي . إشراف . أحمد الزغبي موقع الإسلامي . www.islammi.8m.com .

2- برنامج العلم والإيمان ، من رابط :
https://www.youtube.com/watch?v=xip5zomHo_g

3- مقال تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (1) ، عبد المجيد الزنداني، تقديم: جاد الحق علي جاد الحق ، عدد الاثنين 31 ديسمبر 2012 ، موقع جامعة الإيمان ، مركز البحوث ، أبحاث الإعجاز ، www.jameatalemam.org

4- مقال معنى وجود الله ، مصطفى محمود ، مجلة صباح الخير ، عدد: 23 أفريل 1978م .

5- مقال السيرة الذاتية للفيلسوف المصري " مصطفى محمود "، هدير محمد ، موقع المرسال ، شخصيات ثقافية ، عدد 26 ديسمبر 2016 ، www.almrsal.com .

6- مقال أهل الصفّة فقراء المهاجرين ، أكْرم ضياء العمري ، موقع الإسلام ، يوم: 07-09-2015م .

7- مقطع من حصة : مع وائل الإبراشي 1 :قصة حياة د/ مصطفى محمود يرويها ابنه .

8- مقطع من حصة : مع وائل الإبراشي 2 :قصة حياة د/ مصطفى محمود يرويها ابنه .

تاسعا : فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
البسملة	
الإهداء	
شكر وعرفان	
ملخص المذكرة بالعربية	
ملخص المذكرة بالإنجليزية	
مقدمة	ب
المبحث الأول : ضبط مفاهيم عنوان المذكرة	08
المطلب الأول : ضبط مفاهيم (الدليل ، الآفاق، العقيدة)	08
الفرع الأول : الدليل مفهومه ومصادره وأنواعه	08
أولا: مفهوم الدليل لغة واصطلاحا	08
ثانيا: مصادر الدليل	10
ثالثا: أنواع الدليل	10
الفرع الثاني : مفهوم الآفاق	11
الفرع الثالث: العقيدة مفهومها وأهميتها وخصائصها	14
أولا: مفهوم العقيدة لغة واصطلاحا	14
ثانيا: أهمية العقيدة	15
ثالثا: خصائص العقيدة الإسلامية	16
توقيفية	16
غيبية	17
الشمول	17
التكامل	18
التوازن	18
المطلب الثاني : التعريف بمصطفى محمود	19
الفرع الأول : مولده ونشأته	19

أولا: مولده	19
ثانيا: نشأته	19
ثالثا: أعماله ونشاطاته	20
رابعا: أزمات تعرض لها مصطفى محمود	21
خامسا: مرضه ووفاته	22
الفرع الثاني : فكره وآراؤه العقدية	23
أولا: حرية الاعتقاد	23
ثانيا: دليل الأثر النفسي على وجود الله تعالى	24
ثالثا: مراحل في فكره	25
رابعا: أهم انجازاته ومؤلفاته	27
المبحث الثاني : دلائل الآفاق عند مصطفى محمود	30
المطلب الأول : مضمون دلائل الآفاق ودلالاتها	30
الفرع الأول : مضمون دلائل الآفاق	30
الفرع الثاني : دلالات الآفاق	32
أولا: دلالة التحدي الإلهي	32
ثانيا: دلالة الكمال والتعظيم	34
ثالثا: دلالة العدل الإلهي	35
المطلب الثاني : أنواع دلائل الآفاق	36
الفرع الأول : دليل الخلق	36
أولا: مخلوقية الكون	38
ثانيا: التناقص الحراري للكون	39
الفرع الثاني : دليل النظام	41
أولا: مثال الفلك	42
ثانيا: مثال الحيوان	42
ثالثا:مثال النبات	43
مظاهر النظام في الكون	44

أولا: النظام في التركيب	44
ثانيا: النظام في الحركة	44
ثالثا: النظام في التوازن	45
الفرع الثالث : دليل العناية	45
المبحث الثالث : أثر دلائل الآفاق في ترسيخ العقيدة	49
المطلب الأول : أثر دلائل الآفاق على عقيدة المخالفين	49
الفرع الأول : أثر التفكر في الكون	50
أولا: في خلق الكون(دليل الخلق)	50
1- الشمس والقمر	50
2- الرياح	50
3- الحيوان	51
4- النبات	51
ثانيا: في النظام الإلهي للكون(دليل النظام)	52
الفرع الثاني : أثر مواجهة الشبهات	53
أولا: رد شبهة أزلية الكون بدليل الخلق	53
ثانيا: رد شبهة الصدفة بدليلا النظام والعناية	54
المطلب الثاني : أثر دلائل الآفاق على عقيدة المسلمين	56
الفرع الأول : أثر دلائل الآفاق على عقيدة الفرد المسلم	56
أولا: دليل الخلق	56
ثانيا: دليلا النظام والعناية	58
الفرع الثاني : أثر دلائل الآفاق على عقيدة المجتمع المسلم	60
أولا: دليل الخلق	60
ثانيا: دليلا النظام والعناية	62
خاتمة	67
فهرس الآيات القرآنية	70
فهرس الأحاديث النبوية	73

فهرس البلدان	73
فهرس المصطلحات	73
فهرس الأعلام والشخصيات	74
قائمة المصادر والمراجع	75
قائمة الرسائل والدوريات	78
قائمة المواقع والمقالات الإلكترونية	78
فهرس الموضوعات	79